جامعـــة الأزهـــر
كليـــة أصـول الديـن
والدعوة الإسلامية بالمنوفية



أوجه الإعجاز الإلهي في أطوار خلق الإنسان

في

ضوء الوحي الإلهي والعلم الحديث

دكتور

عادل الصاوي عبد الغفار أبو زيد

مدرس الدعوة والثقافة الإسلامية

مستلة من

حولية كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية العدد السابع والثلاثون،
لعام ١٤٣٩هـ/٢٠١٨م والمودعة بدار الكتب تحت رقم ٢٠١٨/٦١٥٧
والترقيم الدولي I.S.S.N 2636-2481

دار الأندلس للطباعة-أمام كلية الهندسة-عمارات الزراعيين-شبين الكوم ت ٠٤٨٢٢٢٢٠٩٠

مقدِّمة (وملخص للبحث بالعربية)

الحمد لله رب العالمين، أحمده – سبحانه- على سابغ نعمه، ووافر فضله، حمد معترف بكرمه، عاجز عن الوفاء بشكره، والصلاة والسلام على أشرف الخلق سيدنا محمد (ﷺ) أرشد الناس إلى الإسلام، وبلَّغ دعوة ربه على التمام، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد

فلقد أذهلت الكشوف العلمية في العصر الحديث العقول بما ابتدعت فيه من مخترعات وبحوث علمية مذهلة وصلت من خلالها إلى القمر، مما أوقع العقل البشري في حيرة أوشك بسببها أن ينفلت عياره، بل لقد انفلت فعلاً حينما بذل الكثير من الناس ولاء عقولهم للمدنية الحديثة وأداروا ظهورهم للدين مُتنكرين لقيمه وآدابه، الأمر الذي يفرض علينا تدبراً أعمق للإعجاز الإلهي في كل القضايا العلمية التي وردت في القرآن الكريم، والتي أذهلت حتى باحثيها فجاءوا للحق خاضعين.

والحق أن قضايا الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية يمكن أن نُخاطب من خلالها العصر بأسلوب عصري، فهي وسيلة هامَّة من وسائل تجديد الخطاب الدين في وسط هذا الزخم من الأساليب التي من شأنها أن تضر أكثر مما تنفع، والله تعالى يقول: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾[1]، لكن هذه الرؤية مشروطة بالإيمان، أما مَن أبى فلن يرى.

ولنا أن نرى أن آيات الأنفس تدعونا إلى نَظَرَين، ففي الوقت الذي ننظر إليها في سياقها لنصل إلى قضية التوحيد وطلاقة القدرة وإفراد الخالق البديع لهذا الكون بالعبودية دون شريك، نجد نظرنا مشدوداً في ذات الوقت إلى الدقة العلمية التي جاءت بها، فيقذف في القلب الإيمان بالله من خلال هذا الإعجاز الإلهي، مع الإيمان بالقرآن وما جاء به.

---

(١) سورة فصلت من الآية ٥٣.

Introduction (Summary of the Research)

We all praise Allah، the lord of the worlds، peace and blessings upon our prophet Muhammed، his family، his companions and all who had followed and follow his path till the Day of Judgement.

After wards

The Scientific discoveries in the modern era have stunned the minds of the people with the start of inventions and amazing scientific research sent through them to the moon، which caused the human mind to become confused because of it to escape the curtain، but it has actually cancelled the dream of modern civil loyality and turned it back on the religion which seemed to deny value and ethics which imposes on us a higher management (adeeper understanding) of the divine miracles in all the scientific issues that we rementioned in the Holy Quran which amazed even theirre search esso the come to the truth.

The right and right I say: The Scientific miracle in the Holy Quran and the Sunnah can be addressed through modern times in a modern a way as itis only of the most important means of renewal of the religious speech in the middle of this momentum of methods that would harm more than benefit. The Right and Almighty says. We will show them our signs in the horizons and in themselves till becomes clear to them that itis the right(). But this vision in conditional on faith but whoever refuses will not see.

We can see that “the verses of selves” call us to see two views، at the time we look at them in their texture to reach the case of monotheism. The extremeability and consider Allah. The only one in this field، worship Him alone without a partner. We find our selves attracted to the scientific accuracy mentioned in them. Hence The heart receives Faith in Allah through the Divine miracle to get her with the Quran and what is mentioned on it.



هناك إعجاز إلهي في معاني الآيات العلمية الواردة في القرآن الكريم، ووضوح في شروح أئمة التفسير لها، واتفاق مدهش بين حقائق العلم القطعية في العصر الحديث وما ورد من هذه الآيات في القرآن الكريم، وفي الوقت ذاته هناك عجز عن الإحاطة بالتفصيلات والدقائق التي أشارت إليها، وإن توافق حقائق العلم مع آيات الأنفس في العصر الحديث يظهر مدى إحاطة علم الله تعالى بكل شيء وقصور البشر مهما بلغوا، ويظهر هنا في مجالين:

الأول: إعطاء وصف دقيق لكل مرحلة من مراحل الخلق، يبين ما يحصل فيها بدقة، وهنا تتداخل الجوانب اللغوية والعلمية، فلولا الدقة اللغوية التي جاءت بها هذه الآيات ما كانت ألفاظها ذات دقة علمية أيضاً.

الثاني: ترتيب المراحل ترتيباً دقيقاً، ولم يكن هذا الوصف ولا هذا التصنيف معروفاً للعلماء قديماً ولا حديثاً، بل إن علماء علم الأجنة ينظرون إلى هذا التصنيف على أنه أدق من تصنيفهم، وفي هذا الصدد يقول الدكتور كيث مور وهو أحد كبار المتخصصين في علم التشريح بأمريكا:

"لم يكن يعرف شيء عن تصنيف مراحل تطور الإنسان، حتى القرن التاسع عشر، وفي نهاية القرن التاسع عشر ظهر نظام لمراحل تطور الجنين مبني على ترتيب أبجدي (مرحلة أ ثم مرحلة ب وهكذا...) وهذا النظام لا يسهل تتبعه، ويفضله نظام مبني على وصف ظاهري للتغيرات، وفي السنوات الأخيرة أظهرت دراسة القرآن أساساً آخر للتصنيف، مبنياً على سهولة فهم التغيرات في الشكل، فهو يستعمل اصطلاحات نزلت من عند الله علي سيدنا محمد (ﷺ) وأهم هذه المراحل ثلاث: النطفة والعلقة والمضغة.. "[١].

وهكذا لما كان القرآن الكريم منزّلاً من عند خالق الكون سبحانه بلسان عربي للبشر جميعاً ومنهم العربي والأعجمي، كان لابد أن يكون خطابه شاملاً كافة البشر ومعجزاً لهم جميعاً، فكما اشتمل على كمالات الإعجاز البياني والبلاغي الذي أعيا فصحاء العرب، فأسرهم ببيانه المُعجز فأسلموا لله سبحانه مذعنين لمُحكم آياته الباهرات، فكذلك كان لابد من إعجاز يشترك في إدراكه العربي والأعجمي بتقرير حقائق علمية معلومة وأخرى لم تُعلم بعد، تدل مَن يُدركها على هذا الإعجاز الإلهي البديع، وَلَكَمْ تعرَّض القرآن الكريم لكثير من قضايا هي من صميم العلم، فذكر جانباً من الحقائق العلمية، ودخل في تفاصيل بعض الحقائق الأخرى، فدل التطابق بين آياته الكريمة وبين الحقائق العلمية والمكتشفات العصرية الحديثة في كل القضايا التي تناولها العلم الحديث بالبحث والدراسة على الإعجاز الإلهي وطلاقة القدرة في كون الله المنشور وكتابه المسطور، فظهرت المعجزة الإلهية في القرآن الكريم بصورة منهجية بارعة في الدقة على ضوء الثوابت العلمية التي أثبتها العلم الحديث، وفيما يأتي، نبين الدقة في وصف أطوار الخلق، والدقة في ترتيبها.

ولن أدَّعي العصمة من الخطأ بل أقول مقالة سيدنا عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه): "فإن يك صواباً فمن الله، وإن يك خطأً فمني ومن الشيطان، والله (ﷻ) ورســــــوله

(١)دليل الأنفس بين القرآن الكريم والعلم الحديث – توفيق محمد عز الدين- صـ٣٧٦ ط دار السلام للطباعة.

بريئان"[١]، والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

وقد اقتضت طبيعة العمل في هذا البحث تقسيمه إلى سبعة مباحث، تسبقها مقدمة، وتمهيد، كما زيَّلتها بخاتمة، يتبعها ثبت المراجع والمصادر، ثم فهرست الموضوعات، ومن هذا المنطلق جاء البحث على هذا الترتيب التالي:

- **المبحث الأول**: الطور الأول (من سلالة من طين).
- **المبحث الثاني**: الطور الثاني (النطفة).
- **المبحث الثالث**: الطور الثالث (العلقة).
- **المبحث الرابع**: الطور الرابع(المضغة).
- **المبحث الخامس**: الطور الخامس(العظام).
- **المبحث السادس**: الطور السادس (اللحم)
- **المبحث السابع**: الطور السابع (الخلق الآخر.. ونهاية الحمل والولادة).

الخاتمة:

وتشتمل على:

أولاً: أهم النتائج والتوصيات.

ثانياً: ثبت المصادر والمراجع.

ثالثاً: فهرست الموضوعات.

المبحث الأول

الطور الأول (من سلالة من طين)

بادئ ذي بدء: لابد من توضيح أن هذا الطور خاص بسيدنا آدم (عليه السلام) وهذا هو الراجح، لماذا؟ لأنه خُلق يوم خلقه الله تعالى وأوجده على هيئته دون أن يمر بأطوار الخلق التي مرَّت بها ذريته من بعده، قال (ﷺ): "خلق الله آدم على صورته وطوله ستون ذراعاً ثم قال: اذهب فسلم على أولئك من الملائكة فاستمع ما يُحيونك: تحيتك وتحية ذريتك، فقال: السلام عليكم، فقالوا: السلام عليكم ورحمة الله، فزادوه ورحمة الله، فكل مَن يدخل الجنة على صورة آدم، فلم يزل الخلق ينقص حتى الآن"[٢]، فآدم (عليه السلام) لم ينتقل في النشأة أحوالاً ولا تردد في الأرحام أطواراً كذريته بل خلقه الله تعالى رجلاً كاملاً سوياً من أول ما نفخ فيه الروح.

وعن أصل خلق سينا آدم (عليه السلام) يتحدث القرآن: قال تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[٣]، وقال: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴾[٤]، قال: ﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ ۚ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴾[٥]، وقال: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾[١]، وقال: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴾[٢].

---

(١)مسند الإمام أحمد بن حنبل ج٦ صـ١٣٧ حديث رقم (٤٢٧٦) ط دار الفكر العربي، بيروت المكتب الإسلامي.

(٢) أخرجه الإمام البخاري رقم (٣٣٢٦) [كتاب أحاديث الأنبياء باب خلق آدم وذريته، والحديث طرفه في: ٦٢٢٧]، وأخرجه مسلم رقم (٢٦١١) [كتاب البر والصلة والآداب باب خلق الإنسان خلقا لا يتمالك.

(٣) سورة آل عمران الآية ٥٩.

(٤) سورة المؤمنون من الآية ١٢.

(٥) سورة الصافات الآية ١١.

وهكذا يُبيِّن القرآن الكريم أن آدم (عليه السلام) خُلق من الأرض ومُشتقاتها، فتارة يُخبر بأن آدم خُلق من تراب، وتارة من طين لازب، وتارة من حمأ مسنون، وتارة من صلصال كالفخار، ولا غرابة في هذا التنوع فهي الأرض بمشتقاتها، فالأصل في الأرض مكوناتها: التراب، فإذا بل بالماء وهو أصل كل حي: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾[٣]، صار طيناً لازباً، فإذا ترك فترة صار حمأ مسنوناً[٤]، فإذا تُرك فترة جفَّ وصار صلصالاً له صوت، فإذا اشتد جفافه صار كالفخار[٥]، فالكل مخلوق من الطين والماء، وهذا هو الفخر الحقيقي كما في قول الإمام علي (رضي الله عنه):

الناس من جهة التمثال أكفاء * أبوهم آدم والأم حواء

فإن يكن لهمو في أصلهم شرف * يُفاخرون به فالطين والماء

وعليه: فإن سيدنا آدم (عليه السلام) خلقه الله تعالى من تراب الأرض ثم قال له: كن.. فكان، وهذا من الإعجاز الناطق بطلاقة القدرة الإلهية المعجزَة، ولذلك قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[٦]، وقال (صلى الله عليه وسلم): (إن الله خلق آدم من قبضة من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض: جاء منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك، والسهل والحَزْن والخبيث والطيب) وفي رواية: (وبين ذلك)[٧].

وهذا الحديث النبوي يُفسِّر قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ (٢٧) وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾[٨]، ولقد أثبت العلم الحديث ذلك فعلاً، فجاء موافقاً لما في القرآن الكريم والسنة النبوية من إعجاز إلهي، فقد ربطا بين ألوان البشر والألوان الأساسية كصخور الأرض، ففي الآية إشارة إلى تنوع الكائنات الحية من الناس والدواب والأنعام رغم اشتراكهم في الخلية الحية والماء الذي جعل الله منهما كل شيء حي، فمنها ما يغلب عليه اللون الأبيض والأحمر، ومنها ما يغلب عليه اللونان الأخضر الغامق والأسود.. إلخ[٩]، وهذا كله رغم نشأتها جميعاً من أرض واحدة، وبهذا فإن وراء هذا التنوع والتباين في الأصل تأكيداً على وحدانية الخالق وطلاقة قدرته، فكل هذه الإشارات القرآنية والنبوية تُظهر مدى ما في قضية خلق الإنسان من إعجاز إلهي.

أوجه الإعجاز الإلهي في هذا الطور.

الوجه الأول: (إبطال دعوى التطوريين)

(١) سورة الحجر الآية ٢٦.

(٢) سورة الرحمن الآية ١٤.

(٣) سورة الأنبياء من الآية ٣٠.

(٤) أي: أسود متغيرا.

(٥) الإنسان في القرآن الكريم د/ شعبان عاشور صـ ١١٢ ط دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.

(٦) سورة آل عمران الآية ٥٩.

(٧) أخرجه الإمام أبو داود رقم ٤٦٩٣ كتاب السنة باب: في القدر.

(٨) سورة فاطر الآيتان ٢٧، ٢٨.

(٩) موسوعة ما فرطنا في الكتاب من شيء، القسم الأول: المعارف الكونية بين العلم والقرآن صـ ٣٠١، ٣٠٢ إعداد نخبة من علماء الفكر الإسلامي المعاصر ط دار الفكر العربي القاهرة.

لقد خلق الله تعالى سيدنا آدم (عليه السلام) خلقاً خاصّاً لا علاقة له بالمخلوقات من قبله (بلا أب أو أم) مما يُدحض دعوى التطوريين، ودعوى أشباههم ممن حاولوا نسبة الأب والأم لآدم بدعوى باطلة[1]، ويبقى وجه الإعجاز في قول الله تعالى:

﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[2].

إن نظرية التطور التي تُسمّى: "نظرية التطور لداروين"[3] ما هي إلا مجرد نظرية وليست حقيقة علمية، وفرق كبير بين النظريات والحقائق العلمية، فالنظرية قد تكون خاطئة، أما الحقائق العلمية فهي معلومات ثابتة إلى حد بعيد، مأخوذة من واقع ما هو أمامنا في هذا الكون الفسيح.

الوجه الثاني: (قضية تُثير الدهشة)

لقد أثبت العلم الحديث –عن طريق علماء تحليل العناصر والجزئيات- بما لا مجال فيه للشك أن الإنسان فعلاً يعود إلى هذه العناصر الوارد ذكرها في القرآن الكريم، وأنه قد ضمَّ بعضاً من الأملاح والمعادن وما عداها من العناصر المختلفة التي تكمن في أرض الله تعالى، وإن هذه النقلة الضخمة من صورة الطين الساكن الزهيد إلى صورة الإنسان المتحرك الرفيع القدر تُثير الدهشة وتستحق التأمل في هذا الإعجاز الإلهي[4]، خاصة أن القرآن الكريم مستقيم كل الاستقامة مع كل الكشوف التي يميط العلم عنها الستار، وذلك لا ريب من دلائل صدقه وآيات إعجازه.

الوجه الثالث: (آدم آخر المخلوقات خلقاً)

هناك إشارات علمية تُؤكد أن سيدنا آدم (عليه السلام) آخر المخلوقات خلقاً[5]، وهناك أحاديث نبوية تؤكد هذا وتُقيم عليه الحجة، حيث جاء في حديث الخلق: قول الرسول (ﷺ): ".. وخَلَق الله آدم (عليه السلام) من يوم الجمعة في آخر الخلق في آخر ساعة من يوم الجمعة فيما بين العصر إلى الليل"[6]، وذلك بعد أن خلق الله تعالى له الكون ومهَّده له بأسبابه ومسبباته، وفي ذلك يقول الإمام ابن جرير الطبري في شرح قوله تعالى: ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴾[7]، ما نصه: "هو آدم (عليه السلام) فقد مضي عليه حين من الدهر قبل أن يكون شيئاً وقبل أن تنفخ فيه الروح، وورد عن معمر بن قتادة أنه قال: كان آدم (عليه السلام) آخر ما خُلق من الخلق"[8]، ولم يستطع العلم حتى الآن على الرغم مما وصل إليه من تقدم من تحديد تاريخ ظهور الإنسان على الأرض، ولكن المتفق عليه علمياً أنه وصل متأخراً "منذ بضعة آلاف سنة"[9]، وهنا يقف الإنسان عاجزاً بأدواته وآلاته أمام علم الله الذي أحاط كل شيء.

الوجه الرابع: (الصفات الوراثية بين آدم وذريته)

---

(١) الإعجاز العلمي في السنة النبوية د/ محمد حمدي محمود زغلول جـ صـ ١٠٩ ط ٢٠١٢ بدون.

(٢) سورة آل عمران الآية ٥٩.

(٣) التكوين بين العلم والدين د/ محمد جمال الدين الفندي صـ ١١٨ ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

(٤) الإنسان في القرآن الكريم صـ ١٠٦.

(٥) الإعجاز العلمي في السنة النبوية المشرفة جـ صـ ١٠ - ١١١.

(٦) أخرجه الإمام البخاري رقم (٣٢٣١) باب ابتداء الخلق وخلق آدم (عليه السلام)، وأخرجه مسلم رقم (٢٧٨٦) باب ابتداء الخلق كتاب صفات المنافقين وأحكامهم.

(٧) سورة الإنسان الآية ١.

(٨) جامع البيان في تأويل القرآن للإمام الطبري (٢٠/ ٣٦) ط دار الغد العربي.

(٩) موسوعة ما فرطنا في الكتاب من شيء، القسم الأول: المعارف الكونية بين العلم والقرآن، صـ ١٢٠.

هناك حقيقية علمية طبية لم يتم معرفتها أو اكتشافها إلا في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي وأوائل القرن العشرين وأثبتها العلم الحديث وهي: "حقيقة توارث الصفات من الوالدين وأسلافهما إلى الأب الأول – آدم (عليه السلام)"[١].

وهذا يعني: نسبة كل مولود إلى أبينا آدم (عليه السلام) وفي ذلك قال (صلى الله عليه وسلم): (إن النطفة إذا استقرَّت في الرحم أحضرها الله تعالى كل نسب بينها وبين آدم)[٢]، وروى الإمام الطبري عن عبد الله بن عمرو () أنه قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾[٣]، قال: "أخذ من ظهره كما يُؤخذ بالمشط من الرأس، فقال لهم: ألست بربكم؟ قالوا: بلى، قالت الملائكة: شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين)[٤].

وهذا يعني: أن جميع ذرية آدم (عليه السلام) كانوا في صلبه لحظة خلقه، سواء من الذين ماتوا أم ما زالوا أحياء إلى أن يرث الله الأرض ومَن عليها، وأن هذا التقدير يمتد عبر القرون الغابرة ليتصل بالصفات الوراثية للأجداد حتى يصل إلى أبينا آدم (عليه السلام) فيأتي الأبناء على قدر من التشابه والاختلاف مع كل من الأبوين وأسلافهما إلى آدم وحواء ().

الوجه الخامس: **(الإعجاز في قضية الخلق في الربط بين الإنسان والنبات)**

لقد ورد في القرآن الكريم ما يربط في قضية الخلق بين الإنسان والنبات، مثل قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا﴾[٥]، وظل هذا الأمر لفترات طويلة أعيت باحثيها من أجل الوصول إلى علة هذا الربط المعجز، حتى كان اكتشاف العلم الحديث بما توصَّل إليه من أبحاث علمية تُفيد وجود علاقة إعجاز في قضية الخلق بين الإنسان والنبات.

وفي هذا يُقرر العلم الحديث: "أنه لما كان الإنسان قد خُلق أصلاً من تراب الأرض، ولا يحيا إلا على ثمرات نباتها المستمدة أصلاً من تربة الأرض، وعلى المباحات من منتجات حيواناتها من آكلات الأعشاب، والأعشاب في الأصل مستمدَّة من عناصر الأرض، وأن التركيب الكيميائي لجسم الإنسان يُشبه في مجموعه التركيب الكيميائي لتربة الأرض"[٦].

هنا وضحت الرؤى، وظهرت علة الربط، إضافة إلى أن الطين هو الذي ينبت لنا الزرع الذي نأكل ثماره أو تأكله الحيوانات والطيور التي نتغذى عليها، ولهذا فأجسامنا تتغذَّى وتنمو كذلك من الطين ولكن بطريقة غير مباشرة.

كما قرَّر العلم الحديث: "أن الجنين في بطن أمه يتغذَّى على دمها المُستمد من الغذاء الذي تأكله، وبالتالي هذا الغذاء في الأصل مستمد من الأرض "ترابها ومائها" وأن جسم الإنسان يتكوّن من أربعة وعشرين عنصراً من عناصر التربة الأرضية أهمها: الأيدروجين والأكسجين والكربون والنيتروجين والكالسيوم.. إلخ[٧]، وهو إعجاز إلهي آخر يربط بين الإنسان والماء، وافق فيه العلم الحديث ما ورد في قول الله تعالـــــــى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾[٨]، وبعد الميلاد يتغذى المولود على لبن الأم أو حتى على ألبان الحيوانات، وكذلك بعد الفطام..

(١) الإعجاز العلمي في السنة النبوية المشرفة جـ [illegible] صـ [illegible].
(٢) ذكره الإمام الطبري في تفسيره (٩/ ١٣[illegible]).
(٣) سورة الأعراف من الآية ١٧٢.
(٤) جامع البيان في تأويل القرآن للإمام الطبري (٣٠/ ٥٧).
(٥) سورة نوح الآية ١٧.
(٦) موسوعة ما فرطنا في الكتاب من شيء، القسم الأول: المعارف الكونية بين العلم والقرآن صـ ١٢٠.
(٧) الإعجاز العلمي في السنة النبوية المشرفة جـ [illegible] صـ ١٠٦ بتصرف يسير.
(٨) سورة الفرقان الآية ٥٤.

إلخ، وكل ذلك أصلاً مستمد من تراب الأرض، ومن هنا كانت الحكمة الإلهية، وكان الإعجاز الإلهي في الربط بين الإنسان والنبات والطين في قضية الخلق.

بل حتى بعد الوفاة: "يتحلل ما في جسد الإنسان من عناصر وتعود إلى تربتها الأصلية ويتبخر ماؤه"(١)، فالخلق يبدأ من تراب الأرض وينتهي إلى تراب الأرض كي يُبعث منه في يوم الخروج.. كما قال جل شأنه: ﴿ **مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ** ﴾(٢)، فإننا نأتي إلى الأرض لمجرد الامتحان والاختبار عليها، وليس للخلود والبقاء إلى الأبد.

(١) الكون بين العلم والدين ص ١٣٦ بتصرف يسير.

(٢) سورة طه الآية ٥٥.

المبحث الثاني

الطور الثاني (طور النطفة)

وهذا هو الطور الأول بالنسبة لذرية سيدنا آدم (عليه السلام) لماذا؟ لأن سيدنا آدم (عليه السلام) كما بيَّنت سابقاً لم يمر بهذه الأطوار لكنه خُلق رجلاً على هيئته ثم نفخ الله الروح فيه، وهذا بخلاف ذريته من بعده، فالنطفة هي أول أطوار تكوين الجنين، التي عندما تلقح أحد حيوانات البويضة تتكوَّن الخلية الحية التي تعلق بجدار الرحم باحثة فيه عن مأوى، وطالبة للغذاء في طورها الثاني.

أوجه الإعجاز الإلهي في هذه الطور:

الوجه الأول: (الإنسان يخلق من جزء ضئيل من المني هو النطفة)

ذلك أن المني يحتوي على مئات الملايين من النطف، لكن التخصيب يحصل بواحد منها فقط، أي بجزء من المني وليس به كله، وهذه حقيقة عرفت حديثاً جداً بعد تطور الميكروسكوبات، وقد أشير إليها في قولـــه تعالى: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ﴾[(١)]، ثم يظهر الإعجاز الإلهي بشكل أكثر دقة في قوله سبحانه: ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾[(٢)]، والسلالة في اللغة كما هو معروف: هي كل ما يُستل (أي: يخرج في رفق من شيء آخر) وما ذلك إلا نظراً لقلة ما ينتج من نطف الرجل والمرأة في الوصول إلى مرحلة الإخصاب كما بيَّنته الآية الكريمة، وفي هذا قال (ﷺ): "ما من كل الماء يكون الولد، وإذا أراد الله خلق شيء لم يمنعه شيء"[(٣)]، ولقد ثبت علمياً "أن جزءاً يسيراً من المني هو الذي يخلق الله تعالى منه الولد"[(٤)]، وهذا وحده إحدى المعجزات العلمية العديدة التي جاءت في أحاديث الرسول (ﷺ)، وعلى الجانب الآخر فإن عجز الحديث يُبين إعجازاً إلهياً مبهراً، حيث يقف أمام تطلعات البشر في تنفيذ رغباتهم ما لم يكن لها من الله توفيق، من خلال استخدام وسائل منع الحمل، والتي تقف فعاليتها عند مدى مشيئة الله تعالى وإرادته، وهو إعجاز كامل لا يتصوره إلا مَن درس وسائل منع الحمل ونسبة النجاح فيها، سواء كانت وسيلة قديمة مثل العزل والذي ذهبت علة النهي فيه بعد ذلك[(٥)].

---

(١) سورة القيامة آية ٣٧.

(٢) سورة السجدة آية ٨.

(٣) أخرجه الإمام مسلم رقم ([illegible]) باب حكم العزل.

(٤) الإعجاز العلمي في الإسلام – محمد كامل عبد الصمد ص ٩٦ ط الدار المصرية اللبنانية.

(٥) إذا كان الإسلام في منهجه يغلق كل أبواب الحرام في وجه المسلم، وينأى به عن كل رذيلة، فإنه يبحث له دائما عن البدائل، فما جعل من داء إلا وجعل له دواء، ففي الوقت الذي حرم فيه الزنا، راعى حاجة الإنسان في اشباع رغباته وشهواته، فأحل له أن يجامع امرأته في فترة حملها، حتى لا يكون هناك دافع للجوء إلى الفاحشة، وما ورد عنه (ﷺ) من همه بالنهي عن الغيلة، فإنما كان ذلك من خوفه بإلحاق الضرر بالولد الرضيع، فلمَّا تبين عدم ضرره ذهبت العلة وكره العزل. صحيح مسلم بشرح النووي ([illegible]) ط دار الحديث، القاهرة. وروي في هذا عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: (حضرت رسول الله (ﷺ) في أناس وهو يقول: لقد هممت أن أنهى عن الغيلة، فنظرت في الروم وفارس، فإذا هم يغيلون أولادهم فلا يضر أولادهم ذلك شيئاً، ثم سألوه عن العزل؟ فقال رسول الله (ﷺ): ذلك الوأد الخفي) والمعنى: مشابهته للوأد في تفويت الحياة، وهو المراد من قوله - تعالى -: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ﴾ سورة التكوير آية ٨، أخرجه الإمام مسلم ([illegible]) كتاب النكاح باب جواز الغيلة – وهي وطء المرضع وكراهة العزل وأخرجه أبو داود رقم ([illegible]) والترمذي رقم ([illegible]) والنسائي في سننه ([illegible]) وابن ماجة رقم ([illegible]).

وأجيزت الغِيلة[١]، أو وسيلة حديثة مثل حبوب منع الحمل أو اللولب، فضلاً عن عملية التعقيم بقطع قناتي الرحم وربطهما حتى لا تتمكن الحيوانات المنوية من الوصول إلى البويضة..

ولقد ثبت علمياً: "أن لكل وسيلة من وسائل منع الحمل نسبة تفشل فيها، فبرغم هذه الموانع إلا أن الحمل يحدث إذا قدّر الله تعالى ذلك"[٢]، من ذلك كله يتجلى لنا الإعجاز العلمي الرائع لحديث رسول الله (ﷺ) من أن جميع وسائل منع الحمل لا تستطيع مَنع خَلق الولد إذا أراده الله تعالى، وتلك صارت حقيقة علمية يُؤكدها الباحثون والعلماء بعد أربعة عشر قرناً من الزمان.

هذا، وإن الماء الدافق (ماء الخلق أو ماء التكاثر) من أكثر مخلوقات الله تعالى إعجازا وإبهاراً، ذلك لتناهي مكوناته في الصغر، مما يشهد بطلاقة القدرة وقوة الإعجاز الإلهي، فماء التكاثر عند الرجل هو سائل أبيض ملئ بالملايين من النطف الذكرية التي يتراوح حجمها بين الثلاثين والستين من المليمترات المكعبة، وهذه النطف في محاليل من المواد المذابة التي تُشكل الغذاء لتلك النطف حتى تتم عملية الإخصاب في قناة الرحم بالنطفة المؤنثة (البويضة) بإذن الله تعالى.

وقد ثبت علميا أن هذه الحيوانات المنوية منها القوي والضعيف، والطويل والقصير، ومنها ما له رأس واحد (وهو الأغلب) ومنها ما له رأسان (وهو نادر) وأغلبها صالح للإخصاب، وأقلها غير صالح لذلك، وأغلبها يهلك قبل الوصول إلى قناة الرحم، ولا ينجح في الوصول إلى البويضة واختراق جدارها السميك إلا واحد فقط من مئات الحيوانات المنوية وتتم عملية الإخصاب[٣].

وعلى الرغم من أن العلم الحديث أثبت أن النطفة التي يتكون منها جنين الذكر تُشابه وتُماثل النطفة التي يتكون منها جنين الأنثى بشكل كبير في سبع وأربعين كروموزوم ولا تختلف إلا في كروموزوم واحد أو صبغة واحدة من ثمانية وأربعين، إلا أن هذا الجزء الذي يختلف فيه الذكر عن الأنثى يُسبب اختلافاً كبيراً بين الذكر والأنثى في الشكل الظاهري والتركيب الداخلي والعوامل السيكولوجية[٤]..، إلا أن القرآن الكريم المعجز سبق في كل هذا، جاء العلم الحديث ليُؤكد هذا السبق الإلهي المعجز في خلق الإنسان، فقال تعالى: ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾[٥].

الوجه الثاني: (الإنسان يُخلق من نطفة الرجل، ونطفة المرأة)

إن الإنسان يتخلّق من نطفة مخصبة، يجتمع فيها الحيوان المنوي والبويضة ويمتزجان بطريقة تتفق تماماً مع اللفظ القرآني "أمشاج" المذكور في قوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾[٦].

وما ذكره الدكتور موريس بوكاي[٧]، وأيد فيه ما جاء في المنتخب في تفسير القرآن الذي أصدره المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بمصر من أن النطفة الأمشاج تشير إلى العناصر العديدة التي يتركب منها المني، تفسير بعيد، لأن الآية ذكرت أن الجنين يُخلق من هذه النطفة الأمشاج، والإفرازات التي تفرز من الغدد التناسلية الملحقة لا تشارك في الخلق، وإنما تحمل النطف إلى القناة التي يتم فيها التخصيب.

---

(١) الغِيلة: بكسر الغين، والمراد بها وطء المرضع، واختلف في المراد بها في الحديث السابق، فقيل: أن يجامع امرأته وهي مرضع، وقيل: أن تُرضع المرأة وهى حامل، والأول أصح، صحيح مسلم بشرح النووي (٢٧١/٥) ط دار الحديث، القاهرة.

(٢) الإعجاز العلمي في الإسلام صـ ٦٩.

(٣) الإعجاز العلمي في السنة النبوية المشرفة جـ صـ ٦٧ - ١٣٠ بتصرف بسيط.

(٤) من الآيات العلمية – عبد الرزاق نوفل، صـ ٦٧ ط الأولى ط مكتبة الأنجلو المصرية..

(٥) سورة آل عمران من الآية ٣٦.

(٦) سورة الإنسان من الآية ٢.

(٧) التوراة والأناجيل والقرآن الكريم بمقياس العلم الحديث د/ موريس بوكاي ترجمة علي الجوهري صـ ٢٤٦ - ٢٤٧ ط مكتبة ابن سينا.

فالمقصود بالنطفة الأمشاج هو البويضة الملقحة من الذكر والأنثى، ويؤيد هذا، قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴾(١)، ومعلوم أن الذي يستقر في الرحم هو البويضة من دون سائر عناصر المني، وقد ثبت علمياً أن الجنين يتكون من اتحاد خلية واحدة من الذكر (الحيوان المنوي) وخلية واحدة من الأنثى (البويضة) ومن هنا فإن الصفات الوراثية تتحدد بكل من "كروموسومات" الأب والأم بنسبة ٥٠% لكل منهما ويتم ذلك ابتداء من النطفة الأولى التي تجمع بين الحيوان المنوي والبويضة (النطفة الأمشاج أي: الخليط)، فالمشيج كل شيئين مختلطين حيث تتشكّل الجينات للمخلوق الجديد(٢)، وذلك مصداقا لقولـــــه تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ ﴾(٣).

قال الإمام الزمخشري رحمه الله: إن الأمشاج ليست بجمع وإنما هي مفرد لذا جاءت صفة لمفردة(٤)، وقال الراغب: أمشاج أي: أخلاط من دم، وإلى هذا ذهب بن كثير وابن الأثير، وقال ابن عباس: يعني ماء الرجل وماء المرأة إذا اجتمعا واختلطا، ثم ينتقل بعد ذلك من طور إلى طور، ومن حال إلى حال، ومن كونٍ إلى كونٍ، وقال عكرمة ومجاهد والحسن: الأمشاج هو اختلاط ماء الرجل بماء المرأة(٥).

وإذا كانت الآية السابقة قد بيَّنت مطلق خلق الإنسان، وأنه خلاصة الكون، وبعد أن كان في ضمير الغيب وهماً أو طيفاً فقد نزل على هذا الوجود ضيفاً، فإن الآية الكريمة تُفصِّل إجمال خلقه هذا تفصيلاً شاهداً بعلمه وقدرته، وإعجازه وإرادته النافذة، ولذلك قال: (إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ)، وهي الماء الصافي، أو هي اللؤلؤ المشرق اللون، وهذه النطفة: (أَمْشَاجٍ)، امتزج فيها الماءان، وعليه فإن الجنين يتقلب في بطن أمه: نطفة، فعلقة... إلخ، ثم يكون خلقاً آخر، تستقبله الحياة أمشاجاً، خليطاً، يحمل خصائص أجداده وآبائه، ننظر إليه فنرى فيه ملامح أبيه وأمه في نفس اللحظة يتراءى على وجه الطفل الصغير، وعلى الرغم من اختلاف الماءين إلا أن الله تعالى بإعجازه وقدرته يمزج بينهما مزجاً صارا به بشراً سوياً، فسبحان مَن خلق هذا من نطفة مهينة وجعلها عماد البدن وقدَّرها بمقادير وأشكال مختلفة.

الوجه الثالث: (التقدير يكون بعد التخصيب مباشرة)

وهذا واضح تمام الوضوح في قول الله تعالى: ﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴾(٦).

فتقدير الخِلقة التي سيتخلق بها الجنين، تتحدد في لحظة التخصيب عندما تجتمع الصبغيات المستكنة في نواة الخلية، والمسئولة عن برنامج التخلُّق والتكاثر، فلا يكون في البويضة الملقحة أي تخطيط أوَّلي، لكن الترتيب الذي حصل به اندماج الصبغيات، قد حدد صفات الجنين المقبل.

الوجه الرابع: (ذكورة الجنين أو أنوثته من نطفة الذكر وحده)

إن هذه الحقيقة التي أثبتها العلم الحديث قد أثبتها القرآن الكريم منذ أكثر من ألف وأربعمائة عام، قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴾(٧)، والتعبير بقوله تعالى: ﴿إِذَا تُمْنَى﴾ تعبير دقيق في هذا الموضع، لأنه يُبين بوضوح ودقة متى تقوم نطفة الأب بتحديد ذكورة الجنين أو أنوثته، فقبل الإمناء تكون الفرص متساوية أمام جميع

---

(١) سورة المؤمنون من الآية ١٣.

(٢) الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن الكريم والسنة النبوية د/ أحمد مصطفى متولي صـ ٢٧٢ ط دار ابن الجوزي، القاهرة.

(٣) سورة الإنسان من الآية ٢.

(٤) تفسير الكشاف للإمام الزمخشري جـ صـ ٤٥١ ط بدون.

(٥) تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير جـ صـ ٤٥٣ ط مكتبة [illegible] الإسلامية.

(٦) سورة عبس الآية ١٩.

(٧) سورة النجم الآيتان ٤٥، ٤٦.

النطف المذكّرة والمؤنّثة، فإذا حصل الإمناء انطلقت نحو البويضة، حيث يخصبها واحد، ويحدد في تلك اللحظة، جنس الجنين المقبل ذكراً أو أنثى.

ولعل هذا هو المقصود بالتقدير الذي ذكره الله تعالى في قوله: ﴿قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ ١٧ مِنۡ أَيِّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ ١٨ مِن نُّطۡفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ﴾[1]، ويتضمن هذا التقدير فيما يتضمن تحديد جنس الجنين، فإذا كان الحيوان المنوي الذي قُدِّر له إخصاب البويضة يحمل الصبغي (y) كان الجنين ذكراً، وإذا كان يحمل الصبغي (×)كان الجنين أنثى، وعلى هذا تكون القاعدة: "(×+×) يكون الجنين أنثى، و(×+ Y) يكون الجنين ذكراً"[2].

وقد جاءت الإشارة إلى هذا الفرق بين مرحلة تحديد جنس الجنين في البويضة ومرحلة ظهوره في خلقة الجنين، - وهو فرق لم يُعلم إلا حديثاً -، جاء في آية أخرى هي قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ يَكُ نُطۡفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمۡنَىٰ ٣٧ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ٣٨ فَجَعَلَ مِنۡهُ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ﴾[3]، فقوله تعالى: ﴿فَخَلَقَ فَسَوَّى﴾، بعد ذكر مرحلة النطفة والعلقة، يشير إلى مراحل المضغة والعظام واللحم، ففي مرحلة المضغة، يتم تخليق الجنين، وفي مرحلة العظام يأخذ الجنين قوامه السوي، وفي مرحلة اللحم يستكمل هذه التسوية.

ولنا أن ننظر إلى موضع كلمة ﴿مِنْهُ﴾ العائدة على المني، يتبين لنا أن الزوجين الذكر والأنثى، وإن كان تحديد أحدهما يتم عن الإمناء، إلا أن التميز الظاهر للعضو التناسلي، لا يكون إلا في نهاية الخلق والتسوية، أعني بعد مرحلة العظام واللحم، ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذكر والأنثى﴾، أي جعل من ذلك المني – وبالضبط من نطفة واحدة منه-، الذي أصبح الآن خلقاً سوياً الزوجين الذكر والأنثى.

عن ابن عباس (رضي الله عنهما) **قال**: أقبلت بعض اليهود إلى رسول الله (ﷺ) فقالوا: يا أبا القاسم: إنا نسألك عن خمسة أشياء، فإن أنبأتنا بها عرفنا أنك نبي واتَّبعناك، فأخذ عليهم ما أخذ يعقوب على بنيه، إذ قالوا: الله على ما نقول وكيل، قال (ﷺ): "هاتوا" قالوا: خبرنا كيف تُؤنث المرأة، وكيف تُذكّر؟ قال: "يلتقي الماءان فإذا علا ماء الرجل ماء المرأة أذْكَرت، وإذا علا ماء المرأة ماء الرجل آنَثَتْ"[4].

وروى البخاري قول النبي (ﷺ): "وأما الشبه في الولد: فإن الرجل إذا غشي المرأة فسبقها ماؤه كان الشبه له، وإذا سبق ماؤها كان الشبه لها"[5]، وفي رواية لمسلم قال النبي (ﷺ): "ماء الرجل أبيض، وماء المرأة أصفر، فإذا اجتمعا، فعلا مني الرجل مَني المرأة أذْكَرا بإذن الله، وإن علا مني المرأة مني الرجل آنَثا بإذن الله"[6].

إن هذه القضايا تقع في صميم علم الأجنة، وعرضها بهذه الدقة العلمية الشاملة في كتاب الله تعالى وفي سنة رسوله (ﷺ) منذ أكثر من ألف وأربعمائة سنة لأكبر دليل على هذا الإعجاز الإلهي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

فمن البديهي أن الإنسان لم يخلق نفسه، ولم يخلق أولاده... إلخ، "حتى البشر الذين ادَّعوا الألوهية لم يُكلّفوا أنفسهم مشقة ادعاء ذلك، فمن المقطوع به: أن وظيفة الخلق، والإبراز من العدم: لم ينتحلها لنفسه إنسان..، ومن المقطوع به كذلك:

---

(١) سورة عبس الآيات من ١٧ - ١٨.

(٢) الإعجاز العلمي في السنة النبوية المشرفة جـ صـ ١٢٩.

(٣) سورة القيامة الآية الآيات ٣٧ - ٣٩.

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده رقم ([illegible]).

(٥) أخرجه الإمام البخاري رقم (٣٣٢٩) كتاب أحاديث الأنبياء باب خلق آدم وذريته، والحديث أطرافه في: (٣٩١١)، (٣٩٣٨)، (٤٤٨٠).

(٦) أخرجه الإمام مسلم رقم (٣١٥) كتاب الحيض باب بيان صفة مني الرجل والمرأة.

أن شيئاً لا يحدث من تلقاء نفسه فلم يبق: إلا الله"(١)، وبالتالي فإذا كانت البداهة تحكم بالعجز المطلق عن ذلك في عالم العقلاء..، فإن أطوار خلق الجنين تُظهر مدى وجه الإعجاز الإلهي في قضية خلق الإنسان.

إن القرآن الكريم معجز ببلاغته، والتحدي به قائم على مر العصور، وما زالت أعناق البلغاء خاضعة لسلطانه، وإلى أن تقوم الساعة، لكن غلبة أصحاب الثقافات المتواضعة اليوم إلى جانب محاولات المستشرقين لصرف الناس عن دين الله تعالى تفرض علينا أن نُركّز على الإعجاز العلمي والتصريف الإلهي في الجانب الإنساني والكوني حتى تُنازل هؤلاء، وإن الإشارات العلمية في القرآن الكريم كفيلة بالتمكين للإسلام في قلوب الغافلين والمعاندين، ممن لا يدينون بديننا ولا يتكلمون لغتنا.

---

(١) عقيدة المسلم للشيخ محمد الغزالي صـ ٢٠ ط دار الكتب الإسلامية.

الوجه الخامس: (للرجل ماء وللمرأة ماء)

قال تعالى: ﴿ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴾[1].

قال ابن كثير(مِن مَّاءٍ دَافِقٍ) يعني: المني يخرج دفقا من الرجل والمرأة فيتولد منهما الولد[2] بإذن الله تعالى، وقال ابن عباس وعكرمة وغيرهما: (مِنْ بَيْنِ الصُّلب **وَالتَّرَائِبِ**): يعني صلب الرجل وترائب المرأة وهو صدرها، وقال مجاهد: (**التَّرَائِبِ**): ما بين المنكبين إلى الصدر، أو هي أسفل من التراقي، وقال قتادة: من بين صلبه ونحره[3]، وقد أثبت العلم الحديث بعد ذلك عكس هذا فليس المراد صلب الرجل وترائب المرأة، ولو كان الأمر كذلك لكان التعبير: "من الصلب ومن الترائب" وليس (مِنْ بَيْنِ الصُّلب وَالتَّرَائِبِ)، ثم إن التعبير القرآني بلفظ: (مِنْ بَيْنِ الصُّلب وَالتَّرَائِبِ) يقتضي أن يكون ذلك مُحدَّدًا وفي مكان واحد أو شخص واحد.. وهذا ما أثبته العلم الحديث الآن[4].

وقد رجح بعض المفسرين أن يكون المقصود بالصلب والترائب، صلب الرجل وترائبه، وصلب المرأة وترائبها، وذلك لوجود كلمة: ﴿مِنْ بَيْنِ﴾ فهذا الماء يخرج من بين هذين عند الرجل ومن بين هذين عند المرأة أيضاً، وهذا القول الذي فسر الصلب والترائب بأنهما صلب الرجل وترائبه وصلب المرأة وترائبها[5]، وهذا ما أثبته العلم الحديث.

فقد أثبت العلم الحديث أن الجنين عند تكوينه في الرحم تنبت الخصيتان في ظهره عند أسفل الكليتين تماماً وتبقيان في ظهره حتى أشهره الأخيرة في بطن أمه، ثم تنحدران إلى أسفل، وعند الولادة تكونان في مركزهما (مكانهما) المعتاد، وأحياناً يتأخر انحدارهما فيولد الجنين وخصيتاه في ظهره، فيسمى عندئذٍ بذي الخصية غير النازلة، وكذلك مركز المبيض في أنثى الجنين، فإنه في الظهر تحت الكلية تماماً، فسواء كان الجنين ذكرا أم أنثى فإن الذرية تُؤخذ من ظهره، وهذا ما قرره القرآن الكريم قبل تقدم علم التشريح وقبل اكتشاف الأشعة والمجاهر[6].

والآية الكريمة تفيد أن عند المرأة ماء دافقاً، كما عند الرجل، وفي السنة النبوية أن أم سليم امرأة أبي طلحة جاءت إلى رسول الله (ﷺ) فقالت: يا رسول الله إن الله لا يستحيي من الحق، هل على المرأة من غسل إذا احتلمت؟ قال النبي (ﷺ): "إذا رأت الماء"، فغطت أم سلمة – يعني: وجهها- وقالت: يا رسول الله وتحتلم المرأة؟ قال: نعم، تربت يمينك، فبم يُشبهها ولدها؟ [7].

وقد بينت الأبحاث العلمية: "أن بويضة المرأة تكون في المبيض داخل جراب ترشح إليه السوائل، حتى إذا امتلأ، انفجر وتدفق وفيه البويضة، فيسارع البوق[8] إلى تلفف جزء من هذا السائل مع البويضة الوحيدة، ثم تسير هذه البويضة في سوائل القناة، حتى تصل إلى المكان الذي تلتقي فيه بنطفة الرجل، فطريقة انطلاق ماء المرأة تتم بالتدفق، كما أن ماء الرجل أيضاً يتدفق عندما تتقلص الحويصلة المنوية..

(١) سورة الطارق الآيات ٥ – ٧.

(٢) ذكرا كان أو أنثى، فكل مولود ولد لأب كان فرعه، أو هو من باب التغليب وما جرت به العادة.

(٣) تفسير القرآن العظيم للإمام بن كثير جـ [illegible] صـ ٤٦٨.

(٤) الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن الكريم والسنة النبوية صـ ٢٧.

(٥) إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم جـ [illegible] صـ ١٤٥ دار الجيل لبنان ١٩٧٣.

(٦) الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن الكريم والسنة النبوية صـ ٢٣ – ٢٧.

(٧) أخرجه الإمام البخاري رقم (١٣٠) كتاب العلم باب الحياء في العلم، والحديث أطرافه في: (٢٨٢)، (٣٣٢٨)، (٦٠٩١)، (٦١٢١).

(٨) هو بوابة قناة الرحم ويسمى: قناة فالوب. الإعجاز العلمي في الإسلام صـ ٩٦.

وكما أن السائل الذي يتدفق من الرجل ليس كله نطفاً مخصبة، فكذلك السوائل المتدفقة من مبيض المرأة، لا تحتوي إلا على بويضة واحدة، والآية لا تفيد أن الخلق يكون من كل الماء، بل من جزء منه، أما الصلب والترائب فمعناهما العمود الفقري والأضلاع"[١].

ولقد جاء في المنتخب في تفسير القرآن الكريم: "الصلب هو منطقة العمود الفقري، والترائب هي عظام الصدر، وقد بينت الدراسات الجنينية الحديثة، أن نواة الجهاز التناسلي، والجهاز البولي في الجنين، تظهر بين الخلايا الغضروفية المكونة لعظام العمود الفقري، وبين الخلايا المكونة لعظام الصدر، وواضح من ذلك أن الأعضاء التناسلية وما يغذيها من أعصاب وأوعية دموية تنشأ من موضع من الجسم بين الصلب والترائب"[٢]، والأقرب إلى ظاهر الآية، أن الماء نفسه (ماء الرجل وماء المرأة) هو الذي يخرج من بين الصلب والترائب، وأن الجنين يُخلق من الماءين.

ويُشير إلى ذلك ما روي عن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) أنه قال: "مرَّ يهودي برسول الله (ﷺ) وهو يُحدِّث أصحابه فقالت قريش: يا يهودي إن هذا يزعم أنه نبي، فقال: لأسألنه عن شيء لا يعلمه إلا نبي، قال: فجاء حتى جلس ثم قال: يا محمد مم يُخلق الإنسان؟ فقال رسول الله (ﷺ): "يا يهودي! مِن كل يُخلق: من نطفة الرجل ونطفة المرأة""[٣].

ولقد أثبت العلم الحديث هذا الأمر الذي ظلَّ لعهود طويلة موضع بحث ونظر فيما يتعلق بعلم الأجنة[٤]، بينما نجد أن القرآن الكريم والسنة النبوية منذ أكثر من أربعة عشر قرنا حسم القضية ببيان أن عملية الخلق البشري مشتركة بين الذكر والأنثى، ألا وإن تسجيل القرآن الكريم لهذه الحقيقة هو سبق علمي حقيقي يشهد لهذا الكتاب المجيد بأنه معجز حقاً، وأنه لا يمكن أن يكون صناعة بشرية، ويشهد للرسول الخاتم (ﷺ) الذي أوحى الله (عز وجل) إليه بهذا الكتاب.

لقد جاء هذا الرد النبوي الشريف والعلمي الدقيق ردًّا على أرسطو الذي نادي بتكون الجنين من اختلاط دم الحيض مع مني الرجل، وغيره الذين تصوَّروا: "أن الجنين الإنساني إنما يتكون من ماء الرجل فقط، وأن دور المرأة لا يتعدى كون رحمها محضناً لذلك الجنين، أو دم الحيض فقط"[٥] دون أن يكون لماء المرأة أي دور في قضية الخلق.

يقول الدكتور: جولي سامسونج وهو أستاذ النساء والولادة بجامعة مارت وستن، شيكاغو، أمريكا، عن خصوصية خلق الإنسان: "يُخلق الإنسان من النطفتين.. أي بعد اجتماع نطفة الذكر وبويضة الأنثى، وبعد ذلك يتقرر البرنامج الوراثي في "الكروموزومات" من لون العين والجلد والشعر فالإنسان مقدر في مرحلة "الكروموزومات" التي هي مرحلة النطف"[٦]،

وهذه المقولة تتطابق مع قول الله تعالى: ﴿ قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنۡ أَيِّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطۡفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴾[٧].

ويقول دكتور جولي سامسونج أيضاً: "تظهر جميع أجزاء الجنين خلال الأربعين يوماً الأولى والجنين يكون مُنحنياً على نفسه"[٨]، وهذا يتفق وحديث سيدنا رسول الله (ﷺ): (إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها مَلَكاً فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظمها ثم قال: يا رب ذكر أم أنثى؟ فيقضي ربك ما شاء، ويكتب الملك، ثم يقول:

---

(١) الإعجاز العلمي في الإسلام ص ٦ - ٩٧ ط دار المصرية اللبنانية بتصرف.

(٢) المنتخب في تفسير القرآن الكريم ط ٤ ص ٨٦٨ ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بتصرف.

(٣) أخرجه الإمام الطبراني في المعجم الكبير رقم (١٠٣٦٠) (١٠/١٣٠) عن عطاء بن السائب.

(٤) الإعجاز العلمي في الإسلام: السنة النبوية ص ٩٨.

(٥) الإعجاز العلمي في السنة النبوية المطهرة جـ ص ١١٦ بتصرف بسيط.

(٦) من روائع الإعجاز العلمي في القرآن الكريم د/ عاطف قاسم المليجي ص ١١٩ ط النهار للطبع والنشر.

(٧) سورة عبس الآيات ١٧ - ١٩

(٨) من روائع الإعجاز العلمي في القرآن الكريم د/ عاطف قاسم المليجي ص ١٢٣ ط النهار للطبع والنشر.

يا رب أجله؟ فيقول ربك ما شاء ويكتب الملك، ثم يقول: يا رب رزقه؟ فيقضي ربك ما شاء ويكتب الملك، ثم يخرج الملك بالصحيفة في يده فلا يزيد على ما أمر ولا ينقص)(١).

وفي هذا الحديث الشريف حدَّد رسول الله (ﷺ) التوقيت الزماني دون استرسال بتتابع الزمن بمدة اثنين وأربعين يوما تحديداً كما ورد بالحديث، وفي هذا يقول الدكتور "بارتان ت. ف" رئيس قسم التشريح بكندا، وصاحب المؤلفات العديدة في أمراض النساء والولادة، وله بحوث قرآنية متعدِّدة: "إنني لأجد الحق في أن أوافق عقلي وأقول: إن إلهاماً إلهياً أو وحياً قاد الرسول (ﷺ) إلى عرض القضايا بهذا الشكل، وأضاف: وبدراسة الحديث الشريف الذي قال فيه رسول الله (ﷺ): (إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها مَلَكاً فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظمها ثم قال: يا رب ذكر أم أنثى؟ فيقضي ربك ما شاء، ويكتب الملك، ثم يقول: يا رب أجله؟ فيقول ربك ما شاء ويكتب الملك، ثم يقول: يا رب رزقه؟ فيقضي ربك ما شاء ويكتب الملك، ثم يخرج الملك بالصحيفة في يده فلا يزيد على ما أمر ولا ينقص)(٢).

أقرر: أن الصورة للجنين في اليوم السابع والثلاثين لا تمييز فيها للإنسان، والصورة في بداية اليوم الثاني والأربعين ليس فيها شكل الإنسان أبداً، أما في نهاية اليوم الثاني والأربعين وبعد مرور المدة المُقرَّرة الواردة بالحديث الشريف فقد تم تصوير الجنين، ويُوضِّح أن الجنين في هذه المرأة أي: بعد مُضي اثنين وأربعين يوما يصبح الجنين واضح المعالم"(٣)، وهو ما يُوافق الوارد في الحديث النبوي الشريف: (إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها مَلَكاً فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظمها..)(٤)، إنه الإعجاز الإلهي: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾(٥).

الوجه السادس: **(تحديد نوع الجنين)**

إنه في طور النطفة يتحدَّد نوع الجنين، ويقضي الله فيه قضاءه وينفذ فيه مراده (ذكراً أو أنثى)، وكل هذا وفق إرادته ومشيئته: ﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾(٦)، ولقد شاع منذ زمن بعيد حتى في زماننا –قبل الاكتشافات العلمية- أن المرأة لها دور في تحديد نوع الجنين، وقد كان هذا أحد أسباب كراهية العرب قبل الإسلام للأنثى.

وكثيراً ما طالعتنا أخبار العرب عن مثل هذا، فقد كان منهم مَن هَجَرَ بيت الزوجية لفتاة ولدتها أمها، فقد رُوى: أن رجلاً يُدعى: أبا حمزة الضبي، وضعت له زوجته أنثى فهجرها، وبات عند جيرانها، فمرَّ بخبائها يوماً فسمعها تُخاطب ابنتها قائلة:

ما لأبي حمزة لا يأتينا * يظل في البيت الذي يلينا
غضبان أن لا نلد البنينا * تالله ما ذلك بأيدينا
وإنما نحن كالأرض لزارعينا * ننبت ما زرعوه فينا

---

(١) أخرجه الإمام مسلم رقم ٢٦٤٥ كتاب القدر باب كيفية الخلق الآدمي.

(٢) سبق تخريجه.. السابق نفسه.

(٣) من روائع الإعجاز القصصي في القرآن الكريم د/ خلف قاسم المليجي ص ١٠٢، ط النهار للطبع والنشر.

(٤) أخرجه الإمام مسلم رقم ٢٦٤٥ كتاب القدر باب كيفية الخلق الآدمي.

(٥) سورة النجم الآيتان ٣-٤.

(٦) سورة الشورى الآيات ٤٩-٥٠.

فلما سمعها زوجها أقبل عليها وقال: لقد ظلمناكم ورب الكعبة، وقبَّل رأسها، ولنا أن ننظر كيف استطاعت هذه المرأة بذكائها أن تُوقف زوجها على ما غاب عنه وتُبين له: أن ذلك ليس للمرأة، وأنه لا دخل لها في ذلك.

وبعد التقدم العلمي المذهل أثبتت الأبحاث العلمية في العصر الحديث: أن الذكر فعلاً هو المسئول الأول والأخير بعد إرادة الله تعالى ومشيئته عن تحديد نوع الجنين ذكراً كان أو أنثى[1]، وهذا الذي أثبته العلم الحديث قد أقرَّه القرآن الكريم المُعجز منذ أكثر من ألف وأربعمائة عام، قال تعالى: ﴿**وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطۡفَةٍ إِذَا تُمۡنَىٰ**﴾[2]، وقال تعالى: ﴿**أَلَمۡ يَكُ نُطۡفَةً مِّن مَّنِيّٖ يُمۡنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنۡهُ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ**﴾[3]، وحول هذه الآيات وما يُشبهها تحدَّث العلماء في العصر الحديث في ضوء ما ذكرت وصالوا وجالوا، فسبحان الخالق.

---

(١) ينظر في هذا: موسوعة ما فرطنا في الكتاب من شيء، القسم الأول: المعارف الكونية بين العلم والقرآن صـ ٤٦ ، [illegible] الطب الوقائي في الإسلام د/ أحمد شوقي الفنجري صـ ٩٠.

(٢) سورة النجم الآيتان ٤٥ - ٤٦.

(٣) سورة القيامة الآيات ٣٧ - ٣٩.

المبحث الثالث

الطور الثالث (طور العلقة)

إن هذا هو الطور الثالث من أطوار خلق الإنسان، وهو طور مهم لأنه يُعتبر البداية في استقرار النطفة في الرحم وتعلقها به، وتشبثها فيه، بعدما انتهى طور النطفة، حيث تتكاثر خلايا الدم حول العلقة، وتتحد وتتطور مكوِّنة أشبه شيء بالقلب وسرعان ما ينبض ذلك القلب الناشئ بالحياة ليدفع بالدم في أوعية الجنين لكي يمده بالغذاء اللازم، وفي هذا الطور وفي نهاية الشهر الأول يصبح الجنين مثل قطعة اللحم الممضوغة وهي: "المضغة"[١] ولهذا يُسمّى في تلك المرحلة مضغة كما ذكر القرآن الكريم في قول الله تعالى: ﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً ﴾[٢]، وإن أوجه الإعجاز الإلهي في هذا الطور لا تقل عن سابقه، نعيش معها من خلال الأوجه الآتية:

أوجه الإعجاز الإلهي في هذا الطور.

الوجه الأول: (العلقة والقرار المكين)

في قول الله تعالى: ﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً ﴾[٣]، يتضح لنا أن النطفة تدخل الرحم بوصفها نطفة، ثم بعد تشبثها تأخذ وصف العلقة، وبهذا تبدأ المرحلة الثانية في أطوار الخلق، فهناك فترة زمنية تستغرقها النطفة بعد دخولها إلى الرحم، وهي طافية لم تتشبث بعد، ثم تشرع في التعلق بعد ذلك.

ومن الإعجاز الإلهي في هذا: أن البويضة تقدم المواد "السيتوبلازمية" أي: التي تُمثل الغذاء الكافي للنطفة الأمشاج) حتى تنشب في جدار الرحم ويتم انغراسها فيه فتتحول إلى طور العلقة التي تتغذى على دم الأم حتى تتم مدة الحمل مروراً بالأطوار المتتابعة، ومن هنا كانت الحكمة الإلهية والإعجاز الإلهي في جعل قطر البويضة ضعف طول النطفة الذكرية أربعين مرة[٤].

والله سبحانه يقول: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝١٣ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً ﴾[٥]، فالرحم هو القرار المكين الذي يستقر فيه الجنين مدة الحمل، ويَكْبُر تبعاً لنموه، وهو مكين يحميه من الإجهاض والمكروبات وتقلبات الجو الخارجي وغير ذلك، وهذا ما أثبته علم التشريح: "إن الرحم موضوع في وسط حوض المرأة حتى يكون محميًّا ومصوناً من كل أذى، وأنه بعد الحمل ينمو ويكبر، وفي نهاية الحمل فإن حجمه يتضاعف أكثر من ثلاثة آلاف مرة، وهو يتكون من طبقات: أولها الطبقة الخارجية (البريتون) وهي تغطي جسم الرحم، وثانيها: الطبقة العضلية: التي تحمي غشاء الرحم الذي تنغرز فيه البويضة الملقَّحة لتصبح جنيناً، وثالثها: الطبقة المخاطية: وهي الغشاء المبطن للرحم، وله قناتان على كل جانب واحدة، وتنتهي قناة الرحم بانتفاخ يُعرف باسم البوق الذي يُحيط بالمبيض بمجموعة من الأهداب"[٦].

---

(١) التكوين بين العلم والدين صـ ١٣٧.

(٢) سورة المؤمنون من الآية ١٤.

(٣) سورة المؤمنون من الآية ١٤.

(٤) الإعجاز العلمي في السنة النبوية المشرفة جـ صـ ١٣٠ بتصرف يسير.

(٥) سورة المؤمنون الآيتان ١٣ - ١٤.

(٦) الإعجاز العلمي في الإسلام - السنة النبوية - محمد كامل عبد الصمد صـ ١٠٩ ، ١١٠ بتصرف.

من كل هذا يظهر لنا الرحم كفروع شجرة متشابكة، وهو ما أخبر عنه رسول الله (ﷺ) قبل أكثر من ألف وأربعمائة سنة، بقوله (ﷺ): (إن الرحم شجنة[1] من الرحمن، فقال الله: مَن وصلها وصلته ومَن قطعها قطعته)[2]، مما يُعد هذا الوصف إعجازاً علميًّا، لا سيما قبل أن نعرف علماً يُسمَّى بعلم التشريح الذي يصف أجزاء الجسم البشري بالدقة والبيان الواضح.

وعندما يبلغ الحمل نهايته تُفرز غدد الأنثى إفرازات كثيرة متعددة الأغراض منها ما يُساعد على انقباضات الرحم وتقلصاته، ومنها ما يُسهِّل عملية انزلاق الجنين، ومنها ما يعمل على مساعدة المولود في أن يكون نزوله بالوضع الطبيعي، وباعتبار أن الثدي غدة كذلك فهو يُفرز في نهاية الحمل وبدء الوضع سائلاً أبيضَ مائلاً إلى الاصفرار، ومن الإعجاز الإلهي أن هذا السائل عبارة عن مواد كيماوية ذائبة تقي الطفل من عدوى الأمراض[3].

وعلى الرغم من كل هذا إلا أن أوجه الإعجاز الإلهي في الرحم لم تنته بعد، والسر في قوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾[4]، فقد بقي - بعد كل ما بذله العلم من تجارب وما قدمه العلماء من جهد- ما في الرحم سراً من الأسرار لا يقطع به أحد ولا يعلمه حق العلم إلا الله.

وعليه: فهذا هو الترتيب الصحيح، فلفظ العلقة يترجم بإيجاز أهم ما يميز الأسبوع الثاني بعد التلقيح، فأغلب هذا الأسبوع يمضي في زرع البويضة المخصبة، وفي تكوين "التروفوبلاست" الذي يتحول فيما بعد إلي مشيمة وحبل سري.

الوجه الثاني: **(الحبل السري والغذاء)**

إن التحول السابق إلى الحبل السري يُظهر مدى الإعجاز الإلهي في قضية خلق الإنسان، فهذا الحبل السري الذي خلقه الله تعالى في الإنسان أثبت العلم الحديث أنه يربط الجنين بأمه ليتغذى به منها، وقد رُوعي فيه عند تكوينه ما يُحقق الغرض المنوط به، والذي يكون من أجله، دون إطالة له قد تُسبب تخمر الغذاء فيه، أو قصر قد يُؤدي إلى اندفاع الغذاء إليه بما قد يُؤذيه[5].. فتبارك الله أحسن الخالقين.

الوجه الثالث: **(إعجاز القرآن البلاغي)**

لا يغيب عنا هذا الإعجاز البلاغي في المُسمَّى بلفظة: "العلقة" والذي يُوضِّح مدلوله ومعناه: بنيته اللفظية، فلفظ العلقة يستوعب معاني تشير إلى التعلق والتشبث والامتصاص كما يشير إلى الشبه مع الدودة المسماة بالعلقة[6]، وذلك سواء في شكلها أو في امتصاصها للدم من الجسم الذي تتشبث فيه، فهي تنشأ في الماء الراكد وتتعلَّق بالأجسام الموجودة فيه لا تنفك عنه.

وإن هذا من الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، والذي تحدّى الله تعالى به أصحاب الكَلم وأرباب البيان، فوجدوا فيه ما لا يستطيعون مجاراته، واجتمعوا فعجزوا على أن يأتوا بمثله، أو بمثل سورة منه، أو آية.. حتى أصغرها، بل إن تغيير وضع اللفظ لا يُقيم للآية معناها وصداها، فهو تعبير بلفظ مُعجز ليس له نظير، عجيب لمعنى مناسب للمقام الذي يرد فيه دون زيادة أو نقصان.

---

(١) الشجنة: بضم الشين وكسرها الشجرة المشتبكة، أو شعبة في غصن الشجرة، والمراد: قرابة مشتبكة كاشتباك العروق في الشجرة الواحدة. مختار الصحاح للشيخ الإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي صـ ١٦٢ ط المكتبة العصرية.

(٢) أخرجه الإمام البخاري رقم [illegible]) والحديث طرفه في: [illegible]) وأخرجه الإمام الترمذي رقم [illegible]).

(٣) الله والعلم الحديث، عبد الرزاق نوفل صـ ٤٧ ط الأولى ط مكتبة مصر.

(٤) سورة لقمان من الآية ٣٤.

(٥) الله والعلم الحديث صـ ٤٦.

(٦) مختار الصحاح صـ ٢١٦ مادة (ع ل ق).

والحقيقة: أن القرآن الكريم أهدى إلى العربية لوناً طريفاً من الإبداع لم يكن معروفاً قبله، وأقوال مَن استمعوا إلى القرآن فأسلموا لا تقع تحت حصر، وكلها تشهد بما للقرآن من بلاغة وفصاحة، وبعيدا عن شهادة الوليد بن المغيرة للقرآن بما له من حلاوة وما عليه من طلاوة وأن أعلاه مثمر وأن أسفله مغدق.. إلخ، نذكر قول يحيى بن حكم الغزالي "بليغ أهل الأندلس في عصره" وقد أسلم عندما سمع سورة الإخلاص تُتلى، فقال: "اعترتني منها خشية ورقَّة حملتني على التوبة والإنابة"[1]. فسبحان مَن هذا كلامه.

الوجه الرابع: **(القدرة في التوجيه للتلقيح)**

لم تُعرف الحيوانات المنوية بأنها خلايا متحركة إلا في عام ١٧٦٨م وتبين أنها تُشبه العلق في حركتها ولها رأس مفرطح وعُنق قصير وذيل طويل، وتتحرك بلولبية ذيلها، وقد قرر العلم الحديث أن الله تعالى بقدرته وإعجازه المبهر قد أمد هذه الخلايا بقوة من المقاومة تستطيع بها حفظ النوع البشري، إذ أنها في الأجواء غير الملائمة تستكن الحياة فيها وتفقد مظاهر نشاطها، فإذا ما وجدت الوسط المناسب عادت لها حيويتها ونشاطها، وتستمر في حياتها لعدة أيام متوالية في انتظار البويضة التي يفرزها مبيض الأنثى، وهو جهاز التناسل فيها ليؤدي إخصابها، ويتم كل ذلك بإعجاز من الله تعالى، فلا دخل لأي قوة كائنة ما كانت كيماوية أو حيوية في توجيه الحيوان المنوي إلي بويضة الأنثى[2].

(١) القرآن والعلم الحديث ص ١٤..

(٢) الله والعلم الحديث ص ٦٢.

الوجه الخامس: (حفظ البويضة المخصَّبة)

بعد أن تصل البويضة المُخصَّبة إلى الرحم وبعد انقسامها فإنها تتعلَّق بجدار الرحم، وبعد أن كانت من اليوم السادس إلى الخامس عشر في طور النطفة، تنتقل بعد ذلك حتى الخامس والعشرين في طور العلقة، وتتميز العلقة من طبقتين: طبقة خارجية (آكلة ومغذية) وطبقة داخلية (ومنها يخلق الله تعالى الجنين)، وإن الوصف القرآني لهذا الطور بكلمة العلق في زمن لم يكن متوفرا فيه أي وسيلة من وسائل التكبير أو الكشف لطور يتراوح طوله بين (٠. ٧ من المليمتر، ٣. ٥ ملليمتر)[١]، يعتبر أمرا معجزاً حقاً.

الوجه السادس: (لفت النظر لأخذ العبرة)

لنا أن ننظر بعين الاعتبار كيف أن الله تعالى سمَّى أول سورة نزلت من القرآن الكريم باسم "العلق" وذلك نسبة إلى دودة العلق التي تركض في البرك وتتعلَّق بالأجسام الموجودة وتتشبث ربها بها فلا تنفك عنها وتتغذى منها، فالله تعالى يذكرنا بهذه المرحلة وبتلك اللحظات التي كان الإنسان فيها عبارة عن كتلة دم عالقة في جدار الرحم تستمد منه الدفء والغذاء والسكن، قال تعالى: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴾[٢]، مع العلم أن الله تبارك وتعالى كان غنيًّا عن كل هذا، وكان بإمكانه () خلق الإنسان بمجرد الإرادة دون أن يمرَّ بأطوار مختلفة، لكنه تعالى يُريد أن يُعلمنا التؤدة وعدم العجلة في الأمور، ناهيك عن انتظام خلق الإنسان مع خلق كون الله تعالى الفسيح وفق أسباب ومسببات ومقدِّمات ونتائج، آخذين العبرة والعظة، قال تعالى: ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾[٣].

الوجه السابع: (الإعجاز اللغوي)

إنه من المعجز أيضاً استخدام القرآن الكريم في هذه الأطوار لحرف الجر "ثم" ومعروف عند أهل اللغة أنه يُفيد الترتيب مع التراخي، ووجه إعجازه هنا: أنه جيء به للتعبير عن الفترة الزمنية المنقضية ما بين طور النطفة الأمشاج وطور العلقة، والتي تستوجب حرف العطف "ثم" بخلاف غيرها من الأطوار القادمة التي نرى فيها العطف بحرف "الفاء" الذي يُفيد الترتيب مع التعقيب والفور دون تراخي، لأن هذه الأطوار تختلف عن سابقيها في تكوين جسد الجنين وإتمام خلقه، حتى إذا كان طور الخاق الآخر رأينا حرف العطف: ثم..

إن هذه الحقائق العلمية التي جاء بها القرآن الكريم لأكبر برهان وأدمغ حجة على هذا الإعجاز الإلهي، الذي يُثبته العلم الحديث ويُؤكده يوما بعد يوم، وما زال في الأمر الكثير الذي يقف أمامه العلم مكتوف الأيدي لما فيه من إعجاز مُبهر على الرغم من كل هذه الاكتشافات العلمية الهائلة.

لقد أبدى الدكتور كيث مور وهو من أكبر علماء العصر في مجال علم الأجنة والتشريح دهشته حين عَرف بالآيات القرآنية التي تتحدث عن النطفة والعلقة لما وجد فيها من إعجاز إلهي مُبهر، وبيَّن أنه تأكد معمليًّا وبحثيًّا من أن الجنين في مرحلة العلقة يكون مُعلَّقاً في الرحم، وقال: "حين تكاملت لي المعرفة بما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية من أن العلقة تتحوَّل إلى مُضغة تتبعت ذلك فوجدت أن الجنين في الطور الذي يلي العلقة يُشبه المضغة تماماً"[٤].

وقد نشر ذلك في الصحافة الكندية، وسُئل في أعقاب النشر: هل هذا يعني أنه ترك المسيحية ودخل الإسلام؟ وأجاب: بأن المسيح (عليه السلام) ومحمد (ﷺ) من مدرسة واحدة، ولما سئل: لماذا لا ينشر هذه الآراء في كتبه؟ كان عالماً صادقا حيث أصدر الطبعة الثالثة من مؤلفه في هذا الشأن بالإضافات الإسلامية الجديدة، وقد تُرجم هذا الكتاب إلى ست لغات الأسبانية والإيطالية والروسية والصينية واليابانية والألمانية.

---

(١) الإعجاز العلمي في السنة النبوية المشرفة جـ صـ ١٣٨ عام ٢٠١٢م بتصرف بسيط.

(٢) سورة العلق الآيتان ١ - ٢.

(٣) سورة نوح الآيتان ١٣ - ١٤.

(٤) من روائع الإعجاز العلمي في القرآن الكريم صـ ١١٩.

وورد بالكتاب أيضاً ما يلي: "في العصور الوسطى: كانت معلوماتنا عن علم الأجنة في العصور الوسطى قليلة وفي القرآن الكتاب المقدس عند المسلمين، ورد أن الإنسان يُخلق من مزيج من الإفرازات للذكر والأنثى، وقد وردت جملة إشارات تُبين أن الإنسان يُخلق من نطفة المني، وتبيَّن أيضاً أن النطفة تستقر في المرأة بعد ستة أيام واتضح علمياً أن البويضة الملقحة تبدأ في النمو بعد ستة أيام من التخصيب، وجاء في القرآن أن مظهر الجنين بعد ذلك يُشبه شيئاً ممضوغاً كاللبان وقد ظهر ذلك بوضوح في الصور التي التُقِطت، والجنين بعد ٤٠-٤٢ يوماً لا يُشبه جنين الحيوان في هذه المرحلة"(١).

ويُضيف الدكتور كيث مور في كتابه: "ويقول القرآن أيضاً: إن الجنين يتطور داخل ثلاث حجب بظلمات ثلاث أو ثلاث طبقات: الجدار البطني، والجدار الرحمي، والغشاء الداخلي"(٢)، ولقد جاء في القرآن الكريم وصف البيئة التي يتم فيها الحمل من بدئه إلى نهايته وذلك في قوله تعالى: ﴿ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ﴾(٣)، فالله تعالى يخلق الإنسان في بيئة مظلمة تماماً. ولا يتسع المجال لمواضيع هامة ومشوقة وردت في القرآن الكريم، سنزيد الأمر وضوحاً عنها في المبحث السابع إن شاء الله تعالى.

وهكذا تطابق ما توصَّل إليه العلم الحديث بما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية، وهو ما ذكره العالم المتخصص في علم الأجنة، وهو نفسه ما أملاه عليه ضمير العالم الباحث عن الحقيقة التي كانت سبباً في إسلام الكثيرين الذين تُبهرهم الإعجازات الإلهية في القرآن الكريم والسنة النبوية وما أشار إليه من آيات الله تعالى في الأنفس والأفاق، فيملك الإيمان قلوبهم، فلا نراهم إلا مذعنين للحق.

ولا شك أن هذا يقعد ويضع القواعد الأصيلة لمادة علمية ومقرر علمي من صميم تخصص الدعوة والثقافة الإسلامية ألا وهو: آيات الله الإنسانية، ذلكم المقرر الذي يدرس في سنوات التمهيد "الدراسات العليا" لدرجتي التخصص والعالمية "الماجستير والدكتوراه".

المبحث الرابع

الطور الرابع (طور المضغة)

إن طور المضغة هو هذا الطور الذي يبدأ من نهاية مرحلة العلقة مباشرة، وهذا هو السر البلاغي في الإعجاز القرآني باستخدام حرف العطف "الفاء" التي تُفيد الترتيب مع الفور والتعقيب، قال تعالى: ﴿ فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً ﴾(٤)، وهذا الطور مستمر حتى بداية تكوين العظام والعضلات، ويشمل هذا الطور الفترة التي تبدأ فيها انقسام الخلايا بأشكالها المختلفة لتكوين الأنسجة ثم الأعضاء الجسدية المختلفة، ليقوم كل عضو بأداء وظيفة معينة ومحددة في الجنين مختلفة عن باقي الأعضاء الأخرى(٥).

أوجه الإعجاز الإلهي في هذا الطور:

الوجه الأول: (المَنْشأ واحد والأعضاء مختلفة)

---

(١) من روائع الإعجاز العلمي في القرآن الكريم صـ ١٢٠.

(٢) السابق نفسه، الصفحة نفسها.

(٣) سورة الزمر من الآية ٦.

(٤) سورة المؤمنون من الآية ١٤.

(٥) دليل الأنفس بين القرآن الكريم والعلم الحديث - توفيق محمد عز الدين: صـ ٣٨٣ بتصرف يسير.

إن المضغة تنشأ نتيجة انقسام الخلايا، وفيها يبدأ تخصيص كل مجموعة من الخلايا لتكوِّن نسيجاً ينشأ منه عضو يُؤدي وظيفة مُحدَّدة في الجنين، في حين يتكوَّن نسيج آخر في نفس هذا الطور من أطوار الخلق مختلف في تركيبه لينشأ عضو آخر يُؤدي وظيفة أُخرى في جسم الجنين.

إن هذا يُظهر وجه الإعجاز الإلهي في هذه المرحلة من مراحل المضغة، حيث إن المضغة بإعجاز الخالق تعالى تشكَّلت منها عدَّة أنسجة مختلفة كوَّنت مجموعة من الأعضاء المختلفة لكل واحد منهم وظيفة مُعينة يُؤديها لخدمة الجنين، وهذا على الرغم من أن مَنشأ جميع الخلايا واحد.

ولما كان الجنين لا يمكن أن تُشكَّل أعضاؤه جميعها مرة واحدة، نرى الإعجاز الإلهي الدقيق حيث يظهر التخلق أولاً في أجزاء دون غيرها، ثم بعد ذلك يعم التخلق جميع الأجزاء[١]. فسبحان الله الخالق.

الوجه الثاني: (مخلَّقة وغير مُخلَّقة)

إن هذه المضغة الواحدة في المَنشأ والخلايا، والمُنقسِمَة إلى أنسجة يتكوَّن من أعضاء مختلفة لكل عضو وظيفة مُعيَّنة لخدمة الجنين الذي يتخلَّق منها وفق إعجاز الحق تبارك وتعالى ومشيئته - إما بشراً سويًّا أو غير ذلك (الناقص لأي من الأعضاء)، وكل هذا وفق إرادة الحق تعالى، فمتى شاءت إرادته تعالى لهذا الجنين أن يُسجَّل في تاريخ الحياة تمَّ له هذا التخليق، فخرج بشراً سوياً كامل الأعضاء لا نقص فيه ولا عيب، وإن كانت الأخرى لم يتم له ذلك.

لكن يبقى الإعجاز الإلهي لهذه المضغة غير المخلقة أن تبقى كخلايا خام تُسهم في إصلاح الجسم وترميمه عندما تُصبح بقية الخلايا متخصصة جداً وتفقد قدرتها على الانقسام، فسبحان القائل: (لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ)، ويبقى السر في وصف القرآن الكريم لها في هذا الطور بالذات بقوله تعالى: (مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ) في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ ﴾[٢]، ففي هذا الطور بالذات دون غيره من أطوار الخلق يُمكن معرفة الجنين المُخلَّق من غيره.

فتبارك الله أحسن الخالقين.

الوجه الثالث: (العناية الإلهية)

أثبت العلم الحديث بما توصَّل إليه من أبحاث: أن المضغة تتكون من قرص مضغي، أسفله الكيس الصفراوي الذي ينفصل في الشهر الثاني للمضغة، وتنشأ أعلاه قربة ممتلئة بالماء تُسمَّى (السلى) تُحيط بالمضغة إحاطة تامة إلى حيث يتصل بها الحبل السري الغليظ، وهكذا تسبح المضغة في غلاف مائي يمنع عنها الصدمات.

يقول المتخصصون في علم التشريح: "إن مَن يدرس علم تشريح الرحم وموضعه المكين في أسفل بطن المرأة، ويرى الوعاء ذا الجدار العريض السميك ثم يرى هذه الأربطة العريضة، والأربطة المستديرة وهذه الأجزاء من البريتون (الغشاء البريتوني) التي تشده إلى المثانة والمستقيم، وكلها تحفظ توازن الرحم، وتشد أزره وتحميه من الميل أو السقوط، تطول معه إذا ارتفع عند تقدم الحمل، وتقصر إلى طولها الطبيعي تدريجياً بعد الولادة.. "[٣]، ثم يعرف تكوين الحوض وعظامه تعريفاً جليًّا مصداقاً لقوله تعالى: (ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ)، يعني الرحم.. مُعدٌّ لذلك مُهيًّأ له.

الوجه الرابع: (الشفرة الوراثية)

إن هذا الطور من أطوار خلق الإنسان (طور المضغة) يبدأ فيه دون غيره من الأطوار الأخرى دور (الجينات الوراثية) والتي تعكس الصفات الوراثية للجنين، سواء أكانت تحمل الصفات الوراثية من الحيوان المنوي الذكري أو البويضة الأنثوية، وهنا يظهر الإعجاز الإلهي في هذه المرحلة من هذا الطور (المضغة) الصغيرة الحجم بقدر ما يُمضغ

---

(١) دليل الأنفس بين القرآن الكريم والعلم الحديث صـ ٣٨٧.

(٢) سورة الحج من الآية ٥.

(٣) الإشارات العلمية في الآيات الكونية في القرآن الكريم – محمد محمود اسماعيل صـ ٤١ ط دار الدليل.

من اللحم، فعلى الرغم من صغره إلا أن طلاقة القدرة في الإعجاز الإلهي تجعله يحمل بين خلاياه جميع الصفات الوراثية الخاصة بالجنين[١].

فهذا الإعجاز سَبَق ما توصل إليه العلم الحديث الآن بأكثر من ألف وأربعمائة سنة، حيث اكتشف العلم الحديث الآن الحامض النووي (**D. N. A**) بكل مكوِّناته، وهو مركب حامضي يوجد في نواة الخلية الحية[٢]، ناهيك عن دوره البارز الآن في قضية إثبات النسب، وإلحاق الولد بأبيه عن طريق الجينات الوراثية التي تُعزَى إلى الفرد الأصلي لها، وهذا الحامض النووي (**D. N. A**) يوجد في الحيوان المنوي الذكري والبويضة الأنثوية، فكان رادعا لتنكر بعض الآباء في العصر الحديث لأبنائهم لاختلافهم مع أمهاتهم أو ما إلى ذلك، ولنا أن ننظر كيف جاء الله تعالى بالعلم الحديث الذي فضحهم وكشف أمرهم، فأبهر حتى أعداءه، مما جعل الأمر موضع ثقة وطمأنة للجميع، ليظهر مدى اهتمام الإسلام بحفظ الأنساب أو العرض وجعله من الكليات أو الضرورات الخمس التي أوجبت الأديان كلها حفظها وحمايتها.. فجاء الاكتشاف المذهل ليحقق ذلك.

وعن بداية معرفة هذا الحامض المدهش يُذكر أنه في يوم ٢٠٠٠/٦/٢٦م تم الإعلان عن إتمام قراءة المسودة الأولية للشفرة الوراثية للإنسان بعد مُجاهدة استمرت لأكثر من عشر سنوات، وبمشاركة عشرات المئات من العلماء، وبأموال باهظة، وبتاريخ ٢٠٠٣/٤/١٤م أعلنت منظمة الشراكة الدولية لدراسة ترتيب الشفرة الوراثية للإنسان إكمال هذا المشروع بنجاح، وقد اعتبرت عملية قراءة ثلاثة بلاين ومائة مليون حرف من حروف الحامض النووي (**D. N. A**) والذي تُكتب به هذه الشفرة إنجازا علميا لا يقل نجاحا عن بحث الذرة أو صعود الإنسان إلى القمر[٣]، ولنا أن ننظر متى توصل البحث العلمي إلى هذا الإعجاز في وقت كان السبق فيه للقرآن الكريم بأكثر من ألف وأربعمائة سنة.

وعن حال العرب قبل الإسلام تحدثت السنة النبوية عن نوع من الأنكحة كان الجاهلية: يجتمع الرهط مَا دون العشرةِ فيدخلونَ على المرأةِ كلهم يصيُبهَا فإذَا حَملت ووضَعَت ومرَّ عليهَا ليالٍ بعد أنْ تضعَ حملهَا أرسلت إليهم- فلم يستطع رجل منهم أنْ يمتنعَ- حتَّى يجتمعوا عندَها، فَيُقال لهُم: قَد عرفتم الذي كان مِن أمركم وقَد ولدت فهو ابنك يا فلان- تُسمِّي مَن أحبت باسمه- فيلحق به ولدها، لا يستطيع أن يمتنعَ به الرجل، والنكاح الآخر: يجتمع الناس الكثير فيدخلون على المرأة، لا تمتنع ممَّن جاءَها، وهنَّ البغَايا، كنَّ ينصبنَ على أبوابهنَّ رايات تكون علماً، فمَن أرادهنَّ دخلعليهنَّ، فإذَا حَملت إحداهُنَّ ووَضعَت حملهَا جَمعوا لهَا وَدَعوا لهم القَافة[٤]....

.... [٥]، ثُمَّ ألحقوا وَلَدَها بالذي يرونَ فالتاط به[١] ودعي ابنه لا يمتنع مِن ذلكَ، فلمَّا بُعثَ محمدٌ (ﷺ) بالحقِّ هَدمَ نكاحَ الجاهليةِ كله إلا نكاح النَّاس اليوم)[٢].

---

(١) موسوعة ما فرطنا في الكتاب من شيء، القسم الأول: المعارف الكونية بين العلم والقرآن صـ ٤٧ – ١٥٣ بتصرف.

(٢) الإنسان في القرآن الكريم صـ ٩٧.

(٣) الإعجاز العلمي في السنة النبوية المشرفة جـ صـ ١٧٦.

(٤ القافة: جمع قائف، وهو الذي يعرف شبه الولد بالوالد بالآثار الخفية، وفي الصحاح عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: (إن رسول الله (ﷺ) دخل عليَّ مسرورا تبرق (أي: تضيء وتستنير من السرور والفرح) أسارير وجهه (وهي الخطوط التي في الجبهة) فقال: (ألم تر أن مجززا (وهو: مجزز المدلجي من بني مدلج، وكانت القيافة فيهم وفي بني أسد وتعترف لهم العرب بذلك) نظر آنفا (قريبا) إلى زيد بن حارثة وأسامة بن زيد، فقال: إن بعض هذه الأقدام لمن بعض) أخرجه الإمام مسلم رقم ٤٥٩) كتاب الرضاع باب العمل بإلحاق القائف الولد، ووافقه الإمام البخاري رقم ٦٧٧٠) وأبو داود رقم ٢٢٦٨) والترمذي رقم ٢١٢٩) والنسائي في سننه ٦ ٨٤) وكانت الجاهلية تقدح في نسب أسامة لكونه أسود شديد السواد وكان زيدا أبيض، واختلف العلماء في العمل بقول القائف، وأثبته الشافعي وجماهير العلماء، ودليلهم حديث عائشة (رضي الله عنها) السابق، ولكنهم اشترطوا فيه العدالة والخبرة بالقيافة صحيح مسلم بشرح النووي ٥ ٦٨) ط: دار الحديث القاهرة.

والحقيقة: إن قضية الأثر الأسري قضية أكدت عليها السنة النبوية، حتى في القضايا العقدية، فقد قال (ﷺ): **(كلُ مَولُودٍ يُولَدُ على الفِطْرَةِ فأبَواهُ يُهَوِّدَانِه أو يُنَصِّرانِه أو يُمَجِّسَانِه)**(٣)، كما أن لهذا الأثر دوره في سلوك الفرد، ولقد نبه القرآن الكريم على أثر البيئة الاجتماعية – خاصة الأبوين- في سلوك أبنائهما في العديد من آيات القرآن الكريم منها قوله تعالى:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾(٤)، قـــال تعالـــى: ﴿ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴾(٥)، **وقديما على أحد التفسيرات وليس إجماعاً قال بنو إسرائيل لمريم ()**: أي: أن مريم لا يمكن أن تكون خاطئة أو آثمة إذ لم تورث هذا الخطأ من الأب أو الأم، أي أن الصفات تورث من الأب والأم، وبذلك نجزم بهذا القول: "أن القرآن الكريم قد قرر هذه النظرية "وراثة الصفات" أو "قانون التوارث عن السلف" قبل العلم بعشرات المئات من السنين"(٦)، في الوقت الذي يعتبره العلماء نصراً لهم في مجال التقدم العلمي في العصر الحديث.

ولقد أكَّد العلم الحديث هذه القواعد ورسَّخ لها، فإنه من المستخلصات العلمية، ونتائج الدراسات في علوم: التشريح، والنفس، والأخلاق، والاجتماع، أن للدم والسُّلالات أثر في موروثات الأخلاق والصلاحيات والمواهب، والطاقات، ليس بإطلاق، لكن في حدود معينة، ويتأتى ذلك من خلال القيم والمثل التي كان الأجداد والآباء يعتقدونها ويؤمنون بها، ويتمسكون بنهجها وإتباعها، وكذلك من خلال مروياتهم عن سلفهم من ذويهم وأصولهم، عن أمجادهم وبطولاتهم في مختلف مجالات الفخر والعزِّ، يغرسونها في نفوس ذراريهم منذ نعومة أظافرهم وأسنانهم المبكرة، وأيضًا من خلال الدم الموروث في فروع الأسرة التي حافظت على نقاء أصالتها من أية شائبة، أو مخالطة، وقد أكَّد ذلك علم السلالات(٧).

ويتوِّج هذه المعرفة والحقيقة العلمية ما نطق به لسان النبوة في حكمة بالغة، وبلاغة راقية، ودقة متناهية، قال رسول الله (ﷺ): **(النَّاسُ مَعَادِنُ، كمعادنِ الفِضَّةِ والذهبِ، خِيَارُهُمْ في الجاهليَّةِ خِيَارُهُم في الإسلام إذا فقهُوا)**(٨)، و– لكن يجب أن ننبه هنا إلى أمر ذي بال هو أن تلك المؤثرات لا تؤخذ على إطلاقها، فلكل قاعدة شواذ، وقال (ﷺ): **(مَنْ بَطأَ به عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ)**(٩)، ولكني أبحث عن أصل القاعدة.

ولقد جاء رجل إلى رسول الله (ﷺ) يستنكر أن تلد زوجته غلاماً أسود فقال له: "هل لك من إبل؟ قال: نعم، قال: ما ألوانها؟ قال: حمر، قال: فهل فيها من أورق؟ قال: إن فيها وُرْقاً، قال: فأنَّى تراه؟ قال: عسى أن يكون نزعه عِرق، قال: وهذا عسى أن يكون نزعه عرق"(١٠)، ومن الجدير بالذكر أن حظوظ الشبه تتضاءل كلما علا النسب، ولذلك فالغالب أن يكون الشبه بالنسب القريب.

---

(١) فالتاط به: أي: استلحقه به، وأصل اللوط بفتح اللام: اللصوق، لسان العرب لابن منظور (١٠/ ١٧٦).

(٢) أخرجه الإمام البخاري (٥١٢٧) كتاب النكاح باب من قال لا نكاح إلا بولي.

(٣) أخرجه الإمام البخاري (٤٧٧٥) كتاب التفسير باب تفسير سورة الروم.

(٤) سورة آل عمران الآيتان ٣٣ - ٣٤.

(٥) سورة مريم الآية ٢٨.

(٦) القرآن والعلم الحديث صـ ١٠٥.

(٧) علم نفس الدعوة د/ محمد زين الهادي صـ ١٠٠ ط: الدار المصرية اللبنانية بمصر.

(٨) أخرجه الإمام أحمد في مسنده رقم (٨٥٤٤) من طريق أبي هريرة.

(٩) أخرجه الإمام مسلم رقم (٢٦٩٩) كتاب الذكر والدعاء.

(١٠) أخرجه الإمام مسلم رقم (١٥٠٠) كتاب اللعان باب اللعان، وأخرجه الإمام أبو داود رقم (٢٢٦٠) باب إذا شك في الولد، واللفظ له، والحديث طرفاه في (٢٢٦١) (٢٢٦٢).

إن هذا الحديث يتفق مع قانون وراثي اكتُشف حديثا، فلعل هذا القانون من بعض معانيه، وهذا القانون يُبين أن أي إنسان يُخلق بناء على إرث من الصفات يمتد من آدم (عليه السلام) ويُسمَّى هذا القانون: "القانون السابع"، وفحواه: "أن مجموع الصفات التي يُزوَّد بها الفرد عن طريق الوراثة ينتقل إليه نصفها من الصفات الظاهرة من أصلية المباشرين، وربعها من الصفات الظاهرة في أجداده من الدرجة الأولى، وثمنها من الصفات الظاهرة في أجداده من الدرجة الثانية، وجزء من ستة عشر جزءاً منها من الصفات الظاهرة في أجداده من الدرجة الثالثة وهلُم جرا"[(١)]، وهذه النِّسب التي تقِل كلما علا النَّسب هي التي تظهر أحياناً إذا اتفق أن وُجدت نفس الصفة في الأب والأم.

وهكذا نرى أن علم الوراثة أثبت: "أن الطفل يكتسب صفات أبوية الخلقية والعضوية والعقلية، حيث إن في كل خلية من خلايا الجسم عدداً ثابتاً من أجسام صغيرة تُسمى: كروموسومات تحمل عوامل وراثية مسئولة عن الصفات التي تظهر في الجسم، حيث إن هذه الكروموسومات ما هي إلا هذا الجسر الذي تنقل عليه صفات النوع من جيل إلى جيل آخر، وقد يكون تأثير العامل الوراثي خافياً مستتراً، فيطلق عليه في هذه الحال العامل الوراثي الكامن أو المتنحِّي"[(٢)].

وهذا ما بدا لنا ظاهراً في الحديث النبوي السابق، فلم يُرخص النبي (ﷺ) لهذا الرجل في الانتفاء من ولده، فالحديث يحمل بين طياته وجهاً مهماً من أوجه الإعجاز، والذي لم يُكشف إلا مؤخراً، فضلاً عن أن هذا الحديث الشريف قد دلّ على سعة علم الرسول (ﷺ) وقدرته التي لا تدانى في الحوار والإقناع، بحيث أرجع السائل إلى ما يعهده من إبله سائلاً إياه عن ألوانها حتى إذا قرر السائل الحقيقة بنفسه كانت الحجة دامغة تملأ عقله وقلبه، وتزيل ما قد ران على نفسه من ظلال الشكوك القائمة في زوجته.

الوجه الخامس: (التخلُّق كامن في المضغة لكنه لم يظهر بعد)

إنه من الإعجاز الإلهي أن التصميم الذي سيسير عليه التخلق كامن في المضغة لكنه لم يظهر بعد، فالمضغة تمر بمراحل متعدِّدة بدءاً من البداية الأولى للتخطيط وانتهاء بظهور الملامح المميزة للجنين، وهذا يعطي للآية الكريمة دلالة عميقة، لأنها جمعت في كلمتين، مراحل معقدة يشرحها أهل التخصص في صفحات.

فالمضغة تنتقل من مرحلة العلقة وسط احتمالات قوية بالسقوط ويبقى هذا الاحتمال قائماً إلى نهاية الحمل، لكنه يخف كلما تقدمت المضغة في نموها، وهذا كلام وجيه: فإن النطفة عندما تصبح علقة، تكون في أحْرج مراحل الحمل، وأكثر حالات الإجهاض الطبيعي تحصل في هذه المرحلة[(٣)]، فإذا استقرت العلقة وصارت مضغة، وتم تخلقها، فقد تجاوزت هذه المرحلة الحرجة، ولذلك قال تعالى بعد ذلك مباشرة، قال تعالى: ﴿وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾[(٤)].

فإذا استقرت المضغة، فإنها تكون أول الأمر كتلة لحمية لا يظهر فيها أي تمايز لكن التخطيط كامن فيها مع ذلك، وعندما يبدأ التخصص وتميز الرسوم الأولى للأعضاء، يبدأ في الورقة الجنينية فقط، بينما يتجه الجزء الآخر من المضغة إلى تكوين الحبل السري والمشيمة، فإذا انطلق التخلق في الورقة الجنينية، فإنه يسير متفاوتاً، فإذا أجزاء قد تخلقت وأخرى متأخرة لم تتخلق بعد، فإذا تقدم التخلق أشواطاً، وقارب النهاية، تبين مساره حينئذ، أكان سليماً أم مشوهاً، وأي منهما كان، سار عليه الحمل إلى نهايته، وكان "الطابع الأخير" الذي يخرج به الوليد إلى الدنيا.

الوجه السادس: (إعجاز علمي)

---

(١) الوراثة والبيئة – علي عبد الواحد وافي: صـ ٣٢ طـ دار نهضة مصر الفجالة.

(٢) الإعجاز العلمي في الإسلام صـ ١٠٧.

(٣) دليل الأنفس بين القرآن الكريم والعلم الحديث صـ ٣٨٥.

(٤) سورة الحج من الآية ٥.

قال رسول الله (ﷺ): "إن أحدكم يُجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك، ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح ويُؤمر بأربع كلمات بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد.. "[1]، ومن معاني الحديث الشريف أن المراحل الثلاث من النطفة إلى العلقة تستغرق حوالي ستة أسابيع أو أربعين يوماً، وهو ما أكدته أحدث الدراسات في مجال علم الأجنة البشرية، وكان البعض يظن أن المدة ثلاثة أضعاف (أي مائة وعشرين يوماً).

وينفي ذلك الفهم قول الرسول (ﷺ): "إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكاً فصورها، وخلق سمعها، وبصرها، وجلدها ولحمها، وعظامها"[2]، وقد ثبت بالدراسات المستفيضة في المجال الطبي بفرعه الخاص بعلم الأجنة البشرية أن هذه المراحل لا تبدأ إلا مع نهاية المضغة (أي بعد ثنتين وأربعين ليلة)[3] وهو ما يُوافق الحديث الشريف. تبارك الله أحسن الخالقين.

(١) أخرجه الإمام مسلم رقم (٢٦٤٣) كتاب القدر باب كيفية الخلق الآدمي، واللفظ له، ووافقه البخاري رقم (٥٩٤ [illegible]) وأبو داود رقم (٤٧٠٨) والترمذي رقم (٢١٣٧) وغيرهم.

(٢) أخرجه الإمام مسلم رقم (٢٦٤٥) كتاب القدر باب كيفية الخلق الآدمي، واللفظ له، والحديث طرفه في (٢٦٨٣) وأخرجه البخاري رقم (٥٠٥ [illegible]).

(٣) الإعجاز الطبي في السنة النبوية المشرفة جـ صـ ١٤٧.

المبحث الخامس

الطور الخامس: (طور العظام)

لقد اهتم القرآن الكريم بالجهاز العظمي للإنسان اهتماماً بالغاً، فقد تكرّر في أكثر من سورة ما يفيد أن هذا الجهاز هو الأصل في تكوين الإنسان، وإن العظام هي التي تحتفظ بشخصية الإنسان فهي الأساس عند البعث قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ۝٧٨﴾[١]، وقال تعالى: ﴿وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ۝٩٨﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣﴾[٣]، وجمع العظام يفيد إعادة تكوين الإنسان، إذاً قد قرر القرآن الكريم أهمية هذا الجهاز واعتبره الأصل في الخلق والإعادة.

وإن هذا الطور يلي طور المضغة مباشرة، وذلك لِما يترتب عليه من مصلحة للجنين في مرحلة إتمام تكوينه، حيث تنشأ العظام بطلاقة القدرة الإلهية من المضغة، وقد وضع الله تعالى لذلك قانونا كيميائياً عرفه العلماء فيما بعد فجعل ذلك يحدث نتيجة ترسيب عنصر الكالسيوم الذي تتكون منه العظام، وبعد تكون العظام يبدأ الجنين في تحقيق استقامة جسده وبروز أطراف أصابعه وبروز حويصلات مخه[٤]، وعن هذا الطور يقول الله تعالى: ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا﴾[٥].

أوجه الإعجاز الإلهي في هذا الطور:

الوجه الأول: (الإعجاز في تكوين الهيكل العظمي)

إن المضغة هي هذه القطعة الصغيرة من الدم الجامد، والتي تُشبه في حجمها قدر قطعة اللحم التي تُمدغ، وهنا نرى هذا الإعجاز الإلهي الذي يتجلّى في تكوين الهيكل العظمي الذي يُمثل قوام الإنسان فيما بعد من هذه القطعة بأوصافها السابقة، "ويبدأ تكوين العظام في نهاية الأسبوع الخامس، ومن بعد ذلك يجئ طور تغليف العظام باللحم وظهور كافة الأعضاء"[٦]، وذلك عن طريق عنصر الكالسيوم، الذي يترسب في الأجزاء التي أراد الله تعالى أن تنشأ فيها الأطراف دون غيرها ليكتمل تكوين الجنين، فيتكوَّن الجنين على الصورة التي ركَّبها الله فيه، كماقال تعالى: ﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾[٧]، حتى يخرج في النهاية على هذا المظهر القويم: قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[٨].

يقول الدكتور ألكسيس كاريل: "إن الإنسان ليس كما نعتقد روح وجسد فقط، إذ أن الروح والجسد ابتدعتهما أساليبنا في الملاحظة، فالإنسان علاوة على ذلك أنسجة وسوائل عضوية وشعور.. إلخ، وإن القرآن الذي نزل في عصر لم تكن العلوم قد تقدّمت فيه، حتى نعرف مدى ما تستوعبه هذه الآية الشريفة من علوم أفصح عنها التقدم العلمي في العصر الحديث، فالإنسان إذا ما نظرنا إلى أبعاده أو شكله أو تركيبه الداخلي أو تراكب أعضائه الخارجية نجده حقاً في أحسن تقويم، وإذا نظرنا إلى وضع أعضاء الجسم نرى أن هذا الوضع يُحقق أحسن تقويم للإنسان"[٩]، ألا جلّت قدرة الله وعظمته.

---

(١) سورة يس الآية ٧٨.

(٢) سورة الإسراء من الآية ٩٨.

(٣) سورة القيامة الآية ٣.

(٤) القرآن والعلم الحديث ص [illegible] - [illegible] بتصرف.

(٥) سورة المؤمنون من الآية ١٤.

(٦) التكوين بين العلم والدين ص ١٣٧.

(٧) سورة الانفطار الآية ٨

(٨) سورة التين الآية ٤

(٩) القرآن والعلم الحديث ص ١٠٩.

يقول علم السلالات البشرية: "إن للعظام حديثاً تنطق به وتحقق التسلسل في تاريخه، بل تدل على مدى ما تعرّض له صاحب العظام في حياته وكذلك بعد مماته"(١)، وهذا يعني: أن الهيكل العظمي للإنسان يُحدد في حياته وبعد مماته جنسه وعمره، والسلالة التي انحدر منها ودرجة الخلط بين أبويه أو جديه إن كان هناك خلط في سلالته.

الوجه الثاني: **(السبق القرآني)**

إن الجنين في هذا الطور الذي يُسمَّى: (مرحلة النشأة) ينمو ببطء حتى بداية الأسبوع الثاني عشر، ثم يتسارع معدّل النمو والتغيير في الهيئة حتى نهاية الأسبوع الثاني والعشرين، وكل هذا عبر أطوار الخلق المختلفة، يقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ﴾(٢)، وهذه الحقائق العلمية لم تُدرك إلا مع نهايات القرن الثامن عشر الميلادي، ولم تستكمل إلا مع نهايات القرن العشرين(٣)، فلنا أن ننظر إلى هذا الإعجاز الإلهي وهذا السبق القرآني والمُعجز مع هذه الدقة العلمية المتناهية في زمن لم تتوفر فيه أية وسيلة من وسائل الكشف أو التكبير.

الوجه الثالث: **(علاقة العظام بإنتاج الأولاد)**

لقد سبق القرآن الكريم العلم الحديث في تقرير حيوية العظام وأهميتها في وظائف الإنسان، فقد كانت العلوم تعتبر عظام الإنسان إنما هي دعامات صلبة لا حياة فيها قامت لحفظ توازن الإنسان وتركيب باقي مكونات الجسم عليه، في حين يُقرر القرآن أن دورها أكبر من ذلك وأبعد أثراً، فقد جاء في سورة مريم أن زكريا (عليه السلام) دعا ربه أن يهبه غلاماً بالرغم من أن امرأته كانت عاقراً وأنه وهن العظم منه، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا ٤﴾(٤)، وبالربط مع ما وصل إليه العلم حديثاً نجد: "أن العلم الحديث قرر أن حالة العظام تُؤثر تأثيراً مباشراً على الجهاز العصبي، وأنها تتداخل تدخلاً مباشراً في قدرة الإنسان على التوالد وإنجاب الأولاد"(٥)، وهنا نلحظ أن القرآن الكريم قد نبه إلى علاقة العظم بإنتاج الأولاد، وبعد هذا يكشف العلم الحديث ما يحقق قول القرآن، ويُبين أن هذا ما قاله القرآن الكريم فعلاً.

يقول الدكتور ج. ر. راتكليف: "لقد عمّ انتشار الأبحاث الطبية في عصرنا الحالي فأزاح الستار للباحثين عن أسرار حيوية العظام بعد أن كانت أشياء جامدة غير حية"(٦)، وقد قرر العلم أخيراً أن للعظام وظائف مهمة تتوقف عليها حياة الإنسان فهي تحتوي على كل ما يحتاج إليه الجسم من الفوفسفور والكالسيوم وتنظم توزيعه تنظيماً يحفظ ضربات القلب وحركة العضلات.

الوجه الرابع: **(إعجاز علمي)**

عن عائشة () قالت: قال رسول الله (ﷺ): (إنَّه خُلق كلُ إنسانٍ مِن بني آدمَ على ستينَ وثلاثمائة مَفصل، فمَن كبرَ اللهَ، وحمدَ اللهَ، وهللَ اللهَ، وسبحَ اللهَ، واستغفرَ اللهَ، وعزلَ حجراً عن طريق الناس، أو شوكة أو عظماً عن طريقَ الناس، وأمرَ

---

(١) السابق نفسه صـ ١١٦.

(٢) سورة الحج من الآية ٥.

(٣) الإعجاز العلمي في السنة النبوية المشرفة جـ [illegible] صـ ١٤٠ بتصرف يسير.

(٤) سورة مريم الآية ٤.

(٥) القرآن والعلم الحديث صـ [illegible].

(٦) السابق نفسه صـ [illegible].

بمعروفٍ أو نهى عن منكرٍ، عددَ تلكَ الستينَ والثلاثمائة السُّلامي[١]، فإنه يَمشي يومئذٍ وقد زحزحَ نفسَه عَن النَّار)[٢]، وفى رواية لعائشة (): (يُمسي)[٣].

لقد أثبتت الأبحاث العلمية في تشريح جسم الإنسان "أن عدد مفاصل جسم الإنسان فعلاً: ثلاثمائة وستون مفصلاً"[٤]، وإن الأمر المعجز في هذا الحديث أنه يذكر فيه رسول الله (ﷺ) عدد مفاصل جسم الإنسان بهذا التحديد الدقيق بهذا اللفظ: "ستينَ وثلاثمائة مَفصل" وذلك في زمن لم يكن متوفراً فيه أدنى علم بتشريح جسم الإنسان، أو أدنى معرفة بعدد عظام هيكله، وعدد المفاصل فيه، وفي بيئة بدوية لا تعرف العلم ولا التجربة.

لقد أصبح للعظام شأن كبير في علوم التشريح والأحياء: "لقد ساعدت العظام عُلماء الآثار في كتابة تاريخ الحضارات في العالم ونشأة البشرية والتطور الذي تم للكائنات، وقد أفاد الجهاز العظمي العلماء المشتغلين بكفاح الجرائم حيث يسَّرت لهم الوقوف على أسباب الموت وإصابات القتل وذلك من خلال النظرة العابرة التي يُلقونها على عظام الميت"[٥]، وهكذا فإن العظام تتحدّث عن أصل الإنسان ونوعه وجنسه وأوصافه.

وقد اتضح أخيراً "أن العظام وحدها دون أعضاء الجسد الأخرى تحافظ على خصائصها دون تغيير آلاف السنين في قبرها، وبذلك استطاع العلماء تدوين تاريخ القدماء وكتابة قصص حياتهم وأعمارهم، وقد حلّت العظام المشاكل العديدة التي تقوم حول البنوة والوراثة وقرابة الناس بعضهم لبعض"[٦]، وهكذا قرر العلم الحديث ما قرره القرآن الكريم منذ أكثر من ألف وأربعمائة سنة.

(٢) السلامى: هي في الأصل عظام الأصابع وسائر الكف، ثم استعمل فى عظام البدن ومفاصله. النهاية في غريب الحديث والأثر للإمام ابن الجزري ٧٦١/٢.

(٣) أخرجه الإمام مسلم (١٠٠٧) كتاب الزكاة- باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، وأخرجه البخاري رقم (٢٩٨٩) وأبو داود رقم (٥٢٤٣).

(٤) أخرجه الإمام مسلم (١٠٠٧) كتاب الزكاة- باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، وأخرجه البخاري رقم (٢٩٨٩) وأبو داود رقم (٥٢٤٣).

(٤) الإعجاز العلمي في السنة النبوية المشرفة جـ ص ٣٥٤ [illegible].

(٥) القرآن والعلم الحديث صـ ١١٢.

(٦) السابق نفسه صـ ١١٣.

المبحث السادس

الطور السادس (طور اللحم)

بعدما يبدأ طور إنشاء الهيكل العظمي نتيجة عملية التكلس التدريجي التي تم تكونها في مرحلة المضغة حول عدد من المنابت العضوية، يبدأ طور كساء الهيكل العظمي باللحم (العضلات)[١]، وهذا ما قرره القرآن الكريم، فعن هذا الطور يقول الله تعالى: ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا﴾[٢].

أوجه الإعجاز الإلهي في هذا الطور:

الوجه الأول: (الإعجاز البلاغي للقرآن)

إن الآية القرآنية التي معنا لم تَخْل من الإعجاز اللغوي على الإطلاق وهذا واضح في تعبير القرآن الكريم بلفظ ﴿فكَسَوْنَا﴾ وهذا اللفظ يصور بدقة فعل العضلات بالعظام، فهي تكسوها، على الرغم من أنها لم تكن سبباً في تكوينها، ودون أن تكون قد تكوَّنت منه، وفي ذلك يقول أهل التخصص: "العظام قوام الجسم وعليها تشتغل العضلات، والعضلات لحم لا يقوم وحده، لذا تظهر العظام أولاً لتعطي للجنين قوامه، فتستند إليها العضلات بعد ذلك وتغلفها بدقة وحكمة"[٣].

وهذا من أدلة إعجاز القرآن البلاغي، إنه في أغلب المواضع يأتي بلفظ يسير لكنه يُعبِّر عن معاني كثيرة، ببلاغة غير منتهية الحد.. حيّرت عقول بلغاء العرب وفطاحل اللغة، وأثبتت لهم أن القرآن كلام الله، تأليفه عجيب، وأسلوبه فريد، له هدف في المطالع، وغرض في المقاطع، وعلة في الفواصل، وكمال في ربط الآيات.

الوجه الثاني: (حقيقة طبية)

ظل المختصون في علم الأجنة، وهو العلم الذي يدرس تطور الجنين في رحم الأم، حتى فترة قريبة يفترضون أن العظام والعضلات تتكوَّن في وقت واحد، ولكن الأبحاث الميكروسكوبية المتطورة التي أمكن إجراؤها بسبب التطور التقني كشفت أن الوحي القرآني صحيح تماماً، وأثبتت أن تطور الجنين داخل رحم الأم يتم كما وصفته آيات القرآن الكريم[٤]، فأولاً تتكوَّن الأنسجة الغضروفية التي تتحوَّل إلى عظام الجنين، ثم تكون بعدها خلايا العضلات، ثم تتجمع مع بعضها وتتكوَّن لتلتف حول العظام.

الوجه الثالث: (الإعجاز بين اللحم والمضغة)

لقد مر في البحث أن العلقة من النطفة، والمضغة من العلقة والعظام من المضغة، لكن الآية قالت بعد ذلك قال تعالى: ﴿فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا﴾[٥] تشير بذلك إلى أن العضلات ليس أصلها من العظام، وإنما أصلها من المضغة[٦]، وهذا يُوضِّح طلاقة القدرة الإلهية فإذا كانت الآية تأخذ منذ البداية نسق ترتيب الأطوار بعضها من بعض إلا أن مَنْشأ العضلات (اللحم) هنا لم يأتِ من سابقه (العظام) بل نشأ من المضغة، وهذا باعتبار الأصل، وهو من الإعجاز بمكان.

المبحث السابع

(الخلق الآخر.. ونهاية الحمل والولادة)

---

(١) التوراة والإنجيل والقرآن الكريم بمقياس العلم الحديث صـ ٤٩ ، ٢٥٠ بتصرف بسيط.

(٢) سورة المؤمنون من الآية ١٤.

(٣) الكون بين العلم والدين صـ ١٣٧ بتصرف.

(٤) الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن الكريم والسنة النبوية صـ ٢٧٩.

(٥) سورة المؤمنون الآية ١٤

(٦) دليل الأنفس بين القرآن الكريم والعلم الحديث صـ ٣٨٨.

بعد إتمام أطوار الخلق السابقة من نطفة، علقة، مضغة، عظام... إلخ، يأتي طور الخلق الآخر، وعنه قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾[1]، والضمير هنا يعود على الجنين الذي يمر بهذه الأطوار، وفي هذا الطور يتجه الجنين بقدرة الله تعالى إلى نمو الحجم أكثر من ظهور أعضاء جديدة، حتى يكتمل الجنين مع نهاية فترة حمله ليخرج إلى الحياة وليداً.

أوجه الإعجاز الإلهي في هذا الطور:

الوجه الأول: (الجنين لا يكون مصوَّراً من أولى مراحل الحمل)

إن التعبير بلفظ ﴿أنشَأْنَاهُ﴾ يصف بدقة هذه المرحلة الثانية من الحمل، خاصة وأنها اقترنت بقوله تعالى: ﴿خَلقاً آخَرَ﴾ فمنذ الشهر الثالث يتجه نمو الجنين لرفع الوزن، والسير نحو التميز الواضح لملامح النوع الإنساني، ولا يزال الجنين يكتسب في كل مرحلة تميزاً منها، حتى تنتهي مراحل النمو كلها عند البلوغ، وكان معتقداً في أوروبا إلى عهد قريب أن الجنين يكون مصوراً بشكل مصغر في النطفة، وما يحصل في جميع مراحل الحمل إنما هو نمو لهذا الجنين المصغر[2].

ولكن العلم الحديث يُثبت ما أقرَّه القرآن الكريم منذ أكثر من ألف وأربعمائة عام، فالجنين لا يكون مصوراً من أولى مراحل الحمل، إنما يبدأ الجنين خلية عادية، ثم تنقسم مجموعة من الانقسامات قبل أن تتخصص، وعندما يبدأ فيها التخصص تقطع مراحل معقدة، قبل أن يأخذ الجنين صورته الإنسانية، وفي القرآن الكريم إشارة إلى هذا الترتيب، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾[3]، وهنا يأخذ الجنين ملامحه الإنسانية كاملة.

وهكذا يبدو الأمر أكثر وضوحاً، فالجنين يبدأ تكوينه من خلية عادية ليس فيها تصوير، ثم تتكاثر هذه الخلية، وتتخصص خلاياها المنقسمة، ثم يبدأ فيها التصوير.

الوجه الثاني: (الظلمات الثلاث)

جاء في القرآن الكريم وصف البيئة التي يتم فيها الحمل من بدئه إلى نهايته وذلك في قوله تعالى: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾[4]، فالله تعالى يخلق الإنسان في بيئة مظلمة تماماً.

والرأي الراجح في الظلمات الثلاث والذي أثبته الطب الحديث أن الظلمات: ظلمة البطن وظلمة الرحم، وظلمة الأغشية المحيطة بالجنين[5]، وأنها بالفعل تُكوِّن ظلمة، وإن وُجد مَن يُخالف[6]، واختار المنتخب في تفسير القرآن الكريم أن الظلمات الثلاث هي: المبيض، وقناة فالوب، والرحم[7]، ناظراً إلى أطوار الخلق المشار إليها في الآية بقوله تعالى: ﴿خَلقاً مِّنْ بَعْدِ خَلقٍ﴾ فاعتبر أن كل مرحلة من مراحل الخلق تتم في ظلمة، ولكن كيف تكون ظلمة المبيض ضمن الظلمات

---

(١) سورة المؤمنون من الآية ١٤.

(٢) مطابقة علم الأجنة لما في القرآن والسنة د. كيث مور، ترجمة د. خليل سليمان، مقال في مجلة الفيصل الطبية عدد ٨ جمادى الأولى ١٤٠٤هـ.

(٣) سورة الأعراف من الآية ١١.

(٤) سورة الزمر من الآية ٦.

(٥) ينظر في هذا: خلق الإنسان بين الطب والقرآن د/ محمد علي البار ص ٤٢٣ ط الدار السعودية للنشر ط الرابعة ١٤٠٣هـ، وزاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ج ٧ ص ١٦٣ ط المكتب الإسلامي، بيروت، ط الأولى ١٩٦٥م.

(٦) معجزة القرآن، نعمت صدقي ص ١٤٧ ط دار الاعتصام ١٩٧٨م.

(٧) المنتخب في تفسير القرآن الكريم ص ٦٨٥ ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ط الرابعة عشر.

الثلاث؟ مع أن خلق الإنسان لا يبدأ إلا بعد التخصيب، والبويضة وحدها لا تتم مراحل الحمل، فليست البويضة ضمن الخلق الفعلي للجنين.

ويبقى وجه الإعجاز قائماً في هذه الظلمات الثلاث، حيث يكون الجنين في قرار مكين، ومكان آمن يحميه من الصدمات والكدمات التي من الممكن أن تكون سبباً في إلحاق الضرر به أو إجهاضه(١)، وكل ذلك حتى تتم عملية التخليق ويكتمل الجنين، ويخرج إلى النور بعد الظلمة خلقاً آخر، ليُسجَّل في تاريخ البشرية بشراً سوياً.

الوجه الثالث: **(الولادة.. والإعجاز الإلهي)**

بعدما يتم اكتمال تخليق الجنين في الرحم عبر الأطوار المختلفة التي سبق ذكرها بأمر الله تعالى وبطلاقة القدرة بإخراج الجنين من الرحم إلى الحياة الدنيا، تُفرز غُدد الأنثى إفرازات كثيرة متعددة الأغراض، وهي تتم بصورة إعجازية مُدهشة، حيث إن الرحم يحدث له انقباض وانبساط حتى تسهُل عملية إخراج الجنين من الرحم، ومنها ما يعمل على مساعدة المولود في أن يكون نزوله بالوضع الطبيعي، ومن عجيب صنع الله تعالى أن السائل عبارة عن مواد كيماوية ذائبة تقي الطفل من عدوى الأمراض، وفي اليوم التالي للميلاد يبدأ اللبن في التكوين، ومن العظمة الإلهية أن يزداد مقدار اللبن الذي يفرزه الثدي يوما بعد يوم، حتى يُناسب تطور الجنين بعد الولادة، وليس ذلك فحسب بل إن تركيب اللبن كذلك تتغير نسب مكوناته وتتركز مواده بما يُوافق أنسجة وأجهزة الطفل المستمر النمو(٢)، ناهيك عن عملية استخراج اللبن من الثدي والتي تخرج بصورة عجيبة تُظهر مدى طلاقة القدرة الإلهية.

الوجه الرابع: **(وما تغيض الأرحام وما تزداد)**

لقد تحدَّث القرآن الكريم عن غيض الأرحام، قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُۖ وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ ﴾(٣)، ولقد أمدتنا السنة النبوية بما يدل على أن الله تعالى وكَّل مَلَكاً بالأرحام، وأن الملك يعلم ما في الأرحام، قال (ﷺ): {إن الله (ﷻ) قد وكل بالرجم ملكاً. فيقول: أي رب! نطفة. أي رب! علقة. أي رب! مضغة. فإذا أراد الله أن يقضي خلقاً قال: قال الملك: أي رب! ذكر أو أنثى؟ شقي أو سعيد؟ فما الرزق؟ فما الأجل؟ فيكتب كذلك في بطن أمه}(٤).

ولنا أن نتأمل الآية الكريمة.. ثم نحاول أن نجيب عن هذا التساؤل: في صحيح مسلم: أن الملك يعلم ما في الأرحام فقد وكل تعالى بالرحم ملكاً لكل مرحلة، يكتب الرزق، والعمر، وشقي أم سعيد وذكر أم أنثى. فكيف إذن نفهم خمساً لا يعلمهن إلا الله تعالى ومنها: (ما في الأرحام).. كيف والملك يعلم؟ والجواب: "ما تغيض في الأرحام" مرحلة لا يعلمها إلا الله تعالى وهي حالة خاصة تخصِّص عموم الحديث السابق(٥).

والمعنى في قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ ﴾ أي: من ذكر أو أنثى، سويّ الخلق أو ناقص الخلق، واحد أو اثنين أو أكثر ﴿ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ ﴾ أي ما تنقص ﴿ وَمَا تَزۡدَادُ ﴾، قال أهل التفسير في غيض الأرحام(٦): الحيض على الحمل: فإذا حاضت الحامل كان نقصاناً في الولد، لأن دم الحيض غذاء الولد في الرحم، فإذا أهرقت الدم ينقص الغذاء فينتقص الولد، وإذا لم تحض يزداد الولد ويتم، فالنقصان نقصان خلقه الولد بخروج الدم، والزيادة تمام خلقته باستمساك الدم، وقيل: إذا حاضت ينتقص الغذاء وتزداد مدة الحمل حتى تستكمل تسعة أشهر ظاهراً، فإن رأت خمسة أيام دماً وضعت لتسعة أشهر وخمسة أيام، فالنقصان في الغذاء، والزيادة في المدة.

---

(١) لقد نوهت إلى هذا في طوري العلقة والمضغة مما يكفينا مؤنة الذكر والتعقيب خشية التكرار.

(٢) [illegible] صـ ٤٨ ط الأولى.

(٣) سورة الرعد الآية ٨.

(٤) أخرجه الإمام مسلم رقم (٢٦٤٦) كتاب القدر باب كيفية الخلق الآدمي.

(٥) من آيات الله تعالى الإنسانية والكونية في الأنفس والآفاق د/ محمود عمارة صـ ١١٢ ط مكتبة جزيرة الورد.

(٦) تفسير البغوي للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد المعروف بالفراء البغوي (٨/ ٩٩) ط دار طيبة.

وقال الحسن: **غيضها**: نقصانها من تسعة أشهر، والزيادة زيادتها على تسعة أشهر. وقيل النقصان: السقط، والزيادة: تمام الخلق. وأقل مدة الحمل: ستة أشهر، فقد يولد المولود لهذه المدة ويعيش، واختلفوا في أكثرها: فقال قوم: أكثرها سنتان، وهو قول عائشة ()، وبه قال أبو حـ [illegible]). وذهب جماعة إلى أن أكثرها أربع سنين، وإليه ذهب الشا [illegible])، قال حماد بن سلمة. إنما سمي هرم بن حيان هرماً لأنه بقي في بطن أمه أربع سنين. ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾ أي: **بتقدير وحد لا يجاوزه ولا يقصر عنه**.

الوجه الرابع: **(الإعجاز في الترتيب)**

يتحدث القرآن الكريم عن عملية إخراج الجنين فيرى الناظر بعين فكره ترتيباً مدهشاً حين يذكر القرآن الحواس مرتباً إياها وفق وظائفها المسئولة عنها في أسلوب بليغ وترتيب معجز، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[1]، فالطفل المولود يسمع عند الولادة لكنه لا يبدأ في الإبصار، إلا ابتداء من اليوم الخامس عشر[2]، أما اكتساب العقل وملكة الإدراك فتتأخر عن ذلك، فهذا الترتيب الذي تكرر في القرآن الكريم يشير إلى ترتيب في اكتساب هذه الملكات الثلاث، وقد يكون سبب تقديم السمع على البصر أنه أهم منه، ولا تعارض.

أما تأخير ذكر الأفئدة فيحتمل أن يكون السبب: أن نعمة السمع والبصر إنما يعظم نفعهما بوجود الفؤاد، فهما ليسا سوى جهازين لنقل الإحساسات، والعقل هو الذي يدرك مدلولاتهما، ثم إن القلب – بالمعنى القرآني – هو الذي يجعل هذه الإدراكات موضع عبرة، فمن حُرم القلب المعتبر يتمتع بنعمة السمع والبصر لكنه لا يفْضل الحيوان فيهما بشيء سوى أن خسارته يوم القيامة ستكون عظيمة، فلا تتم النعمة على عبد إلا باجتماع هذه الثلاثة.

وكما يتضح الإعجاز أيضاً في تقديم السمع على البصر في الآية السابقة بعد أن أثبت علم الأجنة في العقود الأخيرة أن جهاز السمع يتطور جنينياً قبل جهاز البصر، ويتكامل وينضج حتى يصل حجمه في الشهر الخامس من حياة الجنين على الحجم الطبيعي له عند البالغين، في حين لا يتكامل نضج العينين إلا بعد ولادة الجنين ولذلك يبدأ بسماع الأصوات وهو في رحم أمه وبالتحديد في الشهر الخامس من حياته الجنينية ولكن لا يبصر النور إلا بعد ولادته، والمدهش أن علم التشريح قد كشف أيضاً: أن مركز السمع يسبق البصر في الترتيب التشريحي الداخلي لمراكز المخ حيث يقع المركز السمعي في الفص الصدغي للمخ المقابل للأذن، بينما يقع مركز البصر في الفص الخلفي من المخ[3].

إن مثل هذه الأوجه بما فيها من دقة وسبق علمي في آيات الأنفس، تُظهر مدى قوة الإعجاز الإلهي في خلق الإنسان عبر مراحله المختلفة من النشأة إلى الوفاة، والعلم الحديث لازال يواصل مسيرته لتأكيد هذه الحقائق وغيرها مما لم يُكتشف بعد، ويلخص الدكتور موريس بوكاي الإعجاز القرآني في هذه الشهادة التي يقول فيها:

"إن القرآن الكريم وقد استأنف التنزيلين اللذين سبقاه، ليس فقط يخلو من متناقضات الرواية، وهي السمة البارزة في مختلف صياغات الأناجيل، بل هو يُظهر أيضاً لكل من يشرع في دراسته بموضوعية، وعلى ضوء العلوم طابعه الخاص؛ وهو التوافق التام مع المعطيات العلمية الحديثة، بل أكثر من ذلك وكما أثبتنا، يكتشف القارئ فيه مقولات ذات طابع علمي، من المستحيل تصور أن إنساناً في عصر محمد (ﷺ) استطاع أن يؤلفها، وعلى هذا فالمعارف العلمية الحديثة تسمح بفهم

---

(١) سورة النحل الآية ٧٨.

(٢) دليل الأنفس بين القرآن الكريم والعلم الحديث ص ٣٦١.

(٣) من روائع الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ص ١٢٩ ط النهار للطبع والنشر.

بعض الآيات القرآنية التي كانت بلا تفسير صحيح حتى الآن"[١]، وهذه الشهادة لها قيمتها، لأنها صادرة من طبيب كبير وجراح يُشار إليه بالبنان.. تبارك الله أحسن الخالقين.

الوجه الخامس: (حقيقة طبية)

من خلال آية سورة النمل السابقة يتضح لنا أن الله تعالى هو الذي أخرج الجنين إلى عالم الأحياء، وهذا يدل على عدم استطاعة الإنسان أن يتحكم في موعد الولادة، وقد قرر العلم الحديث: "أنه يستحيل تحديد يوم الولادة بالرغم من أن فترة الحمل الطبيعية تبلغ تسعة أشهر، وبالرغم من أن الأطباء يحتسبون فترة الحمل، إلا أنه لوحظ أن الولادة لا تتحدد في اليوم المرتقب، يقول الدكتور محمد وجيه مطر: "وهذا لا يعني أن الحامل لابد أن تلد بعد هذه المدة بالضبط وإنما هي تسبق هذا التاريخ أو تتأخر عنه بأيام قليلة أو كثيرة"[٢].

لقد أثبت الطب في العصر الحديث إمكانية ميلاد أي وليد بعد تمام الستة أشهر في صحة جيدة، ويعيش كما يعيش غيره ممن وُلدوا لتسعة أشهر، فدل ذلك على أن أقل مدة للحمل ستة أشهر[٣]، وهذا جاء تأكيده في قضية الإمام علي (ﷺ) مع سيدنا عثمان بن عفان () في شأن المرأة التي ولدت ابنها لست، بعدما طابق بين الآيتين الكريمتين قوله تعالى: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ﴾[٥]، وهنا كان اللغز في القضية، والتي أفاء الله بها علي الإمام عليّ (ﷺ)[٦]، وهو استنباط قوي صحيح ووافقه عثمان وجماعة من الصحابة –رضي الله عنهم جميعاً، فسبحان الله المُعجز.

وعليه: فإن عملية الولادة نفسها عملية لا دخل لأي إنسان فيها، فهي عملية لا إرادية، فعندما يصل الحمل إلى نهايته ويشاء الله للحامل أن تلد، ويشاء للجنين أن يُسجل في سجل الحياة ينقبض الرحم على الجنين ليطرده إلى الخارج، فيخرج الجنين بإذن ربه بشراً سوياً..

(١) التوراة والأناجيل والقرآن الكريم صـ ٢٧٩ – ٢٨٣ بتصرف بسيط.

(٢) القرآن والعلم الحديث صـ ١١٥.

(٣) الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن الكريم والسنة النبوية ٤ صـ ٢٨٣.

(٤) سورة الأحقاف من الآية ١٥

(٥) سورة البقرة من الآية ٢٣٣

(٦) تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير جـ صـ ١٥٧.



الخاتمة

لقد كان هذا البحث تطوافة علمية "أكاديمية" حول جزء بسيط من آيات الله تعالى في النفس البشرية، وما في هذه الآيات من إعجاز إلهي مُبهر، يدل أول ما يدل على أحقية هذا الإعجاز في طلاقة قدرته، وقوة إعجازه التي أدهش حتى أعداءه فأتوا إلى الحق مذعنين.

وهذا لا يعني أني أتيت في هذا البحث بكل ما فيه من أوجه إعجاز فالكمال لله وحده، ووصول الإنسان مهما كان إلى مراد الله تعالى من لفظه أمر من الصعوبة بمكان، ولم لا؟ وقد أعيا بالفعل أكابر البلغاء والفصحاء، فأشعرهم بقلة ما يملكون، ودحاضلة ما يفتخرون به، غاية الأمر أنه سير على الدرب، من أجل المساهمة ولو بجزء ضئيل في بعض قضايا الإعجاز والتنوير في كلمة الوحي الإلهي التي أدهشت عصر العلم والتقدم.

إن هذه الأطوار التي مثّلت في هذا البحث جانباً من جوانب الحق تعالى في النفس الإنسانية تبرهن على وجود الله تعالى، وقدرته على إعادة الإنسان مرة أخرى، وهو أهون عليه، كما قال تعالى تقريبا للعقول: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[(١)] ولم لا؟ والذي أنشاءه من العدم قادر على إيجاده من الوجود، بل هو عليه أهون، فتبارك الله أحسن الخالقين.

وأنا لا أبغي من وراء ذكري لأوجه الإعجاز الإلهي عبر أطوار خلق الإنسان أن أدعي أن القرآن الكريم مرجع علمي، لكنني أتساءل كيف استطاع رجل منذ أكثر من ألف وأربعمائة سنة أن يأتي بمثل هذه الحقائق العلمية الرائعة؟ فهل كان سيدنا محمد (ﷺ) عالماً من علماء الأجنة أو التشريح؟ والحق أنه لا سبيل إلى نقاش نتيجته واحدة: التسليم بأنه وحي من عند الخالق المُعجز.

وأخيراً:

الحمد لله في بدء وفي ختم والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله (ﷺ)

---

(١) سورة الروم الآية ٢٧.

النتائج والتوصيات

أولاً النتائج:

أولاً: إن الآيات الإنسانية هي كل ما يتعلق بروح الإنسان ونفسه، ولله تعالى سنن تتعلق بالنفس كما له سنن تتعلق بالكون، ويتم اكتشافها بالعلم والبحث القائم على الكشف والمراقبة، وقد تناولت جزءاً بسيطاً منها من خلال أطوار خلق الإنسان وما فيها من إعجاز إلهي مُبهر، ومثل هذه العلوم تخدم البشرية جمعاء.

ثانياً: ما يزال مجال البحث عن الحقائق العلمية في القرآن الكريم بكراً، لأن عجائب القرآن لم تنقضِ بعد، بل هي قائمة إلا أن يرث الله تعالى الأرض ومَن عليها، فمعاني القرآن لا تنقضي، وكُشوف العلم لا تتوقَّف، ومن هذا العصر: عصر الإعجاز العلمي نرى القرآن الكريم يصف بعض حقائق الوجود المادية، بل ويتنبأ بما سيجيء منها في المستقبل بدقة علمية وسلامة لفظية لا مثيل لهما في كتاب من الكتب.

ثالثاً: إن كثيراً من المكتشفات العلمية وحقائق البحث في العلم الحديث قد ثبت بالدليل القاطع، بل وصل الأمر في بعض الأحيان إلى الإقرار بموافقتها لما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية، مما يُؤكد على أحقية هذا الإعجاز الإلهي بالرضوخ لطلاقة قدرته والتسليم لعظمته، ولم لا؟ وقد حمل هذا الكثيرين منهم على الإسلام، فإن المكتشفات التي أحرزتها العلوم تجعلنا نؤكد بصورة لم يسبق لها مثيل: أن المعاندين إذا فكروا تفكيراً عميقاً فإن العلوم سوف تضطرهم إلى الإيمان بالله تعالى.

رابعاً: إن الأمر الذي نستطيع أن نسق به كل الثقة هو أن الإنسان وهذا الوجود من حوله لم ينشأ هكذا نشأة ذاتية من العدم المطلق، بل إن لهما بداية، ولابد لكل بداية من مبتدئ، ولما كان الإنسان عاجزا عن تحديد معرفة وقت وجوده: فلم يبق إلا الله تعالى، كما أننا نؤمن أن هذا النظام المبهر الذي يسود هذا الكون يخضع لقوانين لم يخلقها الإنسان، بل هو عاجز عن الإحاطة بكل تفصيلاتها، وأن معجزة الحياة في حد ذاتها لها بداية، كما أن وراءها توجيهاً وتدبيراً خارج دائرة الإنسان، إنها بداية مقدسة وتوجيه مقدس، وتدبير إلهي مُحكم ومُبهر: لا يكون إلا من إله مُعجز.

خامساً: يظن البعض أن القرآن الكريم كتاب تشريع ومعاملات، ويظن الآخر أنه كتاب تأمل وعبادات، وغيرهم أنه كتاب توحيد وإيمان، والبعض يقول إنه كتاب بلاغة وأدب، والحقيقة أنه كتاب جمع فأوعى، وإن الإنسان ليجد فيه كل ما يريد، ولم لا؟ وهو معجزة من الله تعالى، وإن من ضمن أوجه إعجازه التي تُخرص ألسنة كل مكابر: الإعجاز العلمي، فقد أثبت التقدم الفكري في العلوم في العصر الحديث أن القرآن الكريم كتاب علم قد جمع أُصول العلوم والحكمة، وكل مُستحدث من العلم نجد أن القرآن الكريم قد وجّه النظر له أو أشار إليه.

ثانياً التوصيات:

أولاً: أوصي: أن تقوم المؤسسات المختصة بمثل هذه البحوث العلمية بتوفير كل ما يحتاج إليه الباحثون في هذا المجال، وذلك لكشف الستار عن أغلب هذه الحقائق العلمية في القرآن الكريم والسنة النبوية، فنحن مطالبون شرعاً بوجود علم خارج القرآن لكنه يؤكد في نفس الوقت حقائق القرآن الكريم وإعجازه.

ثانياً: أوصي: أن تتوجَّه الأعين في مجال البحث العلمي إلى مزيد من الدراسة والبحث في هذا المجال العملاق، خاصة للعاملين في حقل الدعوة، ويحضرني الآن قول شيخنا الغز [illegible]): "لا سبيل إلى معرفة الله تعالى عن طريق التأمل في ذاته، فإن الوسائل إلى ذلك معدومة، وإنما طريق التعرف على الله يبدأ من التأمل في خلقه"[1]، ولقد قرر القرآن الكريم هذا الدليل: ﴿أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ٣٥﴾[2]، أي: أم خُلقوا من غير خالق؟.. تبارك الله أحسن الخالقين.

---

(١) نظرات في القرآن للشيخ الغزالي صـ ١١٨ ط دار الكتب الإسلامية بالقاهرة..

(٢) سورة الطور الآية ٣٥.

ثالثاً: أوصي: أن تُستخدم هذه الحقائق العلمية كصورة من صور تجديد الخطاب الديني لتكون سلاحاً فعَّالاً في أيدي الدعاة يُحق الله به الحق ويُبطل به الباطل، ويُبرهن من خلالها على وجود الله تعالى، حتى لا يبقى أمام المكابر من سبيل، حينما يرى أن آلاته وأدواته تشهد للخالق بالإعجاز المبهر، فهل إذا أوضحنا للعالم غير العربي أن القرآن الكريم معجزة علمية قد حوى أُصول العلم الحديث، وسبق إلى كل مستحدث من العلوم، ألا يكون هذا الوجه من إعجاز القرآن كافياً لإقناع رجال الغرب بمعجزة القرآن، لا سيما أن حديث العلم هو القول الفصل الذي لا يستطيع أي مكابر أن يُجادل معه أو يشك فيه، أو لا يكون إعجاز القرآن العلمي بذلك هو السبيل إلى تبليغ الدعوة الإسلامية لغير العرب؟، إن اليوم الذي ننشر على العالم بلغاته المختلفة ما قد سبق القرآن الكريم إلى القول به وأثبته التقدم العلمي في مختلف العلوم لهو اليوم الذي نكون فيه قد أدينا الرسالة، وأبلغنا الدعوة، وأظهرنا معجزة القرآن لغير العرب.

والله الموفق وهو الهادي إلى سواء السبيل،،،،

ثبت المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم جل من أنزله.**

١- الكون بين العلم والدين د/ محمد جمال الدين الفندي، ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة الخبراء، الكتاب الرابع عشر.
٢- القرآن والعلم الحديث، تأليف: عبد الرزّاق نوفل، ط الأولى، ط دار المعارف المصرية ١٣٧٨ه-١٩٥٩م.
– الإشارات العلمية في الآيات الكونية في القرآن الكريم – محمد محمود إسماعيل، ط دار الجيل.
– الإعجاز العلمي في السنة النبوية، د/ محمد حمدي محمود زهران ٢٠٠٧م بدون.
– الإعجاز العلمي في الإسلام – السنة النبوية – محمد كامل عبد الصمد، ط الدار المصرية اللبنانية.
– إعلام الموقعين عن رب العالمين للإمام ابن القيم، دار الجيل بيروت ١٩٧٣.
– الإنسان في القرآن الكريم، د/ السعيد عاشور، ط دار غريب للطباعة والنشر.
– تفسير البغوي للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد المعروف بالفراء البغوي، ط دار طيبة.
– تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير، ط مكتبة أسامة الإسلامية.
١٠ – تفسير الكشاف للإمام الزمخشري، ط بدون.
١١ – التوراة والإنجيل والقرآن الكريم بمقياس العلم الحديث، د/ موريس بوكاي ترجمة علي الجوهري، ط مكتبة ابن سينا.
١٢ – جامع البيان في تأويل القرآن للإمام ابن جرير الطبري، ط دار الفكر العربي.
١٣ – خلق الإنسان بين الطب والقرآن، د/ محمد علي البار، ط الدار السعودية للنشر ط الرابعة ١٤٠٣ هـ.
١٤- دليل الأنفس بين القرآن الكريم والعلم الحديث – توفيق محمد عز الدين- ص -٣٧٦ ط دار السلام للطباعة.
١٥ – زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي، ط المكتب الإسلامي، بيروت، ط الأولى ١٩٧٥ م.
١٦ – صحيح مسلم بشرح النووي، ط دار الحديث، القاهرة.
١٧ – الطب الوقائي في الإسلام د/ أحمد شوقي الفنجري ط دار الشروق.
١٨ – عقيدة المسلم الشيخ محمد الغزالي ط دار الكتب الإسلامية بالقاهرة.
١٩ – علم نفس الدعوة د/ محمد زين الهادي، ط: الدار المصرية اللبنانية بتصرف.
٢٠- فتح الباري بشرح صحيح البخاري للإمام بن حجر العسقلاني، ط: دار الحديث.
٢١ – الله والعلم الحديث، عبد الرزاق نوفل، ط الأولى ط مكتبة مصر.
٢٢ – مجلة الفيصل الطبية عدد ٨ جمادى الأولى ١٤٠٥ هـ.
٢٣ – مختار الصحاح – محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، ط المكتبة العصرية.
٢٤- مسند الإمام أحمد بن حنبل، ط دار الفكر العربي، بيروت المكتب الإسلامي.

٥ – معجزة القرآن – نعمت صدقي، ط دار الاعتصام، ٢ ١٩٧٨م.

٦ – من الآيات العلمية – عبد الرزاق نوفل، ط الأولى ط مكتبة الأنجلو المصرية.

٧ – من آيات الله تعالى في الأنفس والآفاق، د. محمود محمد عمارة، ط مكتبة جزيرة الورد.

٨ – من روائع الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، د/عاطف قاسم المليجي، ط النهار للطبع والنشر.

٩ – موسوعة ما فرطنا في الكتاب من شيء، الجزء الأول، المعارف الكونية بين العلم والقرآن، إعداد نخبة من علماء الفكر الإسلامي المعاصر، ط دار الفكر العربي ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

١٠ – المنتخب في تفسير القرآن الكريم، ط الرابعة عشر، ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

١١ – الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن الكريم والسنة النبوية، د/ أحمد مصطفى متولي، ط دار ابن الجوزي، القاهرة.

١٢ – نظرات في القرآن للشيخ محمد الغزالي، ط دار الكتب الإسلامية بالقاهرة.

١٣ – الوراثة والبيئة – علي عبد الواحد وافي، ط دار نهضة مصر الفجالة.

فهرست الموضوعات

